الخِطَاب الحِجَاجيِّ
في مقالات
"وحْي الأربعين" للرَّافعي (ت١٩٣٧م)
مُقارَبةٌ تداوليَّة

د. عمر محمد إبراهيم محمد

مدرس الأدب والنقد

في

كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنين بالشرقية

جامعة الأزهر

(العدد الرابع والثلاثون)

(الإصدار الثاني .. أكتوبر)

(١٤٤٢هـ - ٢٠٢١م)

(الخِطَاب الحِجَاجيّ في مقالات "وحْي الأربعين" للرَّافعي (ت١٩٣٧م) مُقارَبةٌ تداوليَّة)

عمر محمد إبراهيم محمد

قسم الأدب والنقد، كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنين بالشرقية، جامعة الأزهر - جمهورية مصر العربية.

البريد الإلكتروني: OmarMohamed54.el@azhar.edu.eg

ملخص البحث: يتناول البحثُ الخطابَ الحِجَاجي في مقالات "وحي الأربعين" للأستاذ "مصطفى صادق الرافعي" ، والتي كانت نقدًا لديوانٍ شِعريٍّ للأستاذ "العقاد"، وقد عضّد "الرافعيُ" هذا النقد اللاذع والحُجَج والبراهين باستدلالات وادَّعاءاتٍ غلَب عليها الهجاء والأسلوب الساخر، وذلك عبر أربع مقالات مُطوَّلة في صحيفة" البلاغ"، وقد حاولتُ إلقاء الضوء على أنواع الحجاج وآلياته في هذه المقالات، ووسائل الإفهام والإقناع التي اتكأ عليها المنشئ ، وأبعادها التداوليَّة، وقد اشتمل البحث على مقدمة؛ للتعريف به وبمنهجه وخُطته، وتمهيدٍ يستهدف تحرير مفاهيم البحث الأساسية، ثم مبحثين، الأول: أنواع الحجاج في مقالات "وحي الأربعين"، والثاني: آليات الحجاج في هذه المقالات، وجاءت الخاتمة في النهاية؛ لتسجيل أبرز ما توصل إليه البحث من نتائج وتوصيات.

الكلمات المفتاحية: (الخطاب، الحجاج، التداولية، الرافعي، وحي الأربعين، العقاد).

The structure of the argumentative discourse in the articles of "Wahy Al'arbaein" by Al-Rafi'i (died in 1937)

Omar Muhammad Ibrahim Muhammad.
Department of Literature and Criticism, faculty of Islamic and Arabic Studies for Boys, Sharkia. Al Azhar university. The Arab Republic of Egypt.
Email: OmarMohamed54.el@azhar.edu

Abstract: The research deals with the argumentative discourse in the articles of " Wahy Al'arbaein" by Mr Mustafa Sadiq al-Rafi'i, which was a critique of a poetic collection of Mr Al-Akkad. Al-Rafi'i reinforced this harsh criticism, argumentations and proofs with inferences and allegations that were dominated by the satirical method, through four lengthy articles in "Al Balagh" newspaper.
I tried to shed light on the types of argumentations and their techniques in these articles, and the means of understanding and persuasion on which the sbeaker relied according to the theory of Pragmatics. The research included an introduction; To define it, its and its plan, and an introduction aimed at editing the main concepts of the research .Then two topics, the first: Types of argumentations in the articles of "Wahy Al'arbaein ", and the second: techniques of argumentations in these articles , and the conclusion came at the end To record the most prominent findings and recommendations of the research .

Key words: Pragmatiqu - Al-Rafi'I Al-Akkad - Wahy Al'arbaein) discourse – Argumentation)

مقدمة

اهتمّ الدرس النقدي الغربي في منتصف القرن العشرين بنظريَّاتٍ حداثيةً تمَّ تطبيقها على المنجز الإبداعي، سواءً أكان في المنظوم أم في المنثور؛ نتيجة لتغيراتٍ فكريَّة واجتماعية وسياسية شهدتها بلادُ الغرب، وهو ما تلقَّفه النقَّادُ العَرَب؛ مسايرةً وتقليدًا تارة، أو تمرُّدًا ورفضًا تارةً أُخرى، ومن هذه النظريات الوافدة: نظرية "**الحِجَاج**" التي انبثقتْ من حقولٍ بلاغيَّةٍ ولسانيَّةٍ وفلسفيَّةٍ ومنطقيَّةٍ؛ حتى تبلورتْ–غالبًا– مُحاوِلةً رَسْم منهجها المستقل وحدودها المُميّزة، وصارت نظريَّةً عاملةً في الحقْل النقديّ، هدفها الرئيس: الإقناع والتأثير بطريقةٍ مخصوصة، وبوسائلَ مقصودة، والإفادة من طاقة اللغة وأبعادها التداوليّة؛ إذ إن للتداوليَّة وأبعادها دورًا رئيسًا في مقاربة الخطاب المبنيِّ على الجدال وإقامة الحُجَج، لأن الحِجَاج لا يقوم إلا من خلال اتصالٍ لُغوي بين طرَفين متحاوِرين، وتضطلع التداولية بدراسة هذه اللغة التي يقوم عليها عمود المحاوَرة، وأثرها في الإقناع .

وقد شارك "الرافعي" – رحمه الله– مع غيره من النقَّاد والأدباء مطْلع القرن العشرين في معاركَ نقديَّةٍ ضاريَةٍ؛ إذ قيّض الله–سبحانه وتعالى– للأدب العربي ثُلةً متزامنةً من المبدعين والمفكرين والنقَّاد في مرحلةٍ خصْبة من تاريخ الأُمَّة شهد فيها أدبُ العرب نموًّا وازدهارا، ومن هذه المعارك: معركة الأستاذ "الرافعي" مع الأستاذ "العقاد"– رحمهما الله– فقد خصَّه بسلسلة مقالاتٍ أَطلق عليها "وحي الأربعين"، نَشَرها في مجلة "البلاغ"، عام (١٩٣٣م)، وهذه المحاورة والمُحاجَجة جديرةٌ بتطبيق نظرية "**الحِجَاج**"، وكشف اللِّثام عن تقنياتها وآلياتها، وَسَبْر أغوار الروابط والمسارات الإقناعية التي آثرها الناقد في خطابه الحواريّ، الذي بات شاهدًا ومؤكدًا على حِيازته قَصَب السَّبْق في تعصُّبه للغة القرآن، والذَّود عن حِيَاض أدب العرب؛ ففي نَفْس الرافعي اعتدادٌ بالذَّات، وشموخٌ بالمبدأ واعتزازٌ به، وتعصُّب قويٌّ للغة التي يَرَى أنه مؤتمنٌ عليها،

ورسولٌ يهدي الناس إلى قواعدها وأصولها وجمالها ، وكأنه يتمثَّل قول "طَرَفةَ بنِ العبد": (الطويل)

إذا القوم قالوا مَنْ فتىً خِلْتُ أنني عُنيتُ فلم أَكسلْ ولم أتبلَّدِ(١)

وكان لأسلوب "الرافعي" مذاقٌ خاص، في مُعجمه اللغوي وصُوره البيانية، وأسلوبه اللّاذع الساخر، وتوظيفه للتراث ، واستشهاده بالكثير من ديوان العرب، وغَيْرةٍ على لغة القرآن، فصنع لنفسه نموذجًا خاصًّا امتاز به عن غيره؛ مما أدى إلى ارتفاع مكانته في الأدب وَفَنِّ المناظرات، وقد شَهِدَ بذلك كثيرٌ من أرْباب القلم وروَّاد البيان، وهو ما يؤكد بعضه الأستاذ "أحمد حسن الزيات" حين قال: "لا أعلم أديبًا مُعاصرًا حاز من هذه الفضيلة ما حازه "الرافعي"، فقد كان في الكُتَّاب طريقة وحْده"، وقد شهد له الأستاذ "مصطفى كامل" بقوله: "سيأتي يومٌ إذا ذُكر فيه "الرافعي" قال الناس: هو الحِكمة العالية، مصوغة في أجمل قالبٍ من البيان"(٢)، إلى غيرها من الشهادات التي توثق لهذه المرحلة المهمة من حياة الحرة الأدبية وأعلامها النُقَّاد .

إشكالية البحث:

يحاول البحث الإجابة عن عدة اسئلة ، منها : ما أنواع الحجاج التداولي وآلياته التي اتكأ عليها الرافعي في مقالات "وحي الأربعين"؟ وما فعاليتها في الإقناع التأثير؟ وما دور الروابط الحجاجية في تحقيق الإقناع، وما دور "التداولية" في تحقيق التواصل في المنجز الخطابي؟ وما هي مظاهر القوة والضعف؟ وما هو دور وسائل الإقناع اللغوية في النثر الحجاجي وأثرها في المتلقي/ المخاطب؟

---

(١) ديوان طرفة بن العبد، شرح الأعلم الشنتمري، ص٤١، تحقيق: دراية الخطيب بالاشتراك، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، د. ط ، ٢٠٠٠م .

(٢) حياة الرافعي ، الأستاذ " محمد سعيد العريان"، ص ٦٣، دار التقوى للطبع والنشر، القاهرة ،٢٠١٧م .

مِن الدراسات السابقة[١]:

ملأ الرافعيُ الدنيا بأدبه ونقْده وفِكره، تنظيرًا وتطبيقًا، حتى بات منجزه الإبداعي والفكري والنقدي، وجهة كثيرٍ من الباحثين والنقاد، ومن هذه الدراسات والبحوث التي تناولتْ منجزه النثري ومعاركه الأدبية والنقدية: (مرتبة تاريخيًّا)

- نثر الرافعي ، أمين مسعود (ماجستير)، كلية الآداب ، جامعة القاهرة ، ١٩٦٢م .
- الرافعي ناقدًا ، حسن عبد القادر(ماجستير)، كلية اللغة العربية ، جامعة الأزهر، القاهرة ، ١٩٦٧م .
- نثر الرافعي : محمد الأخضر بن مسعود ، المكتبة الشرقية، الجزائر ١٩٦٨ م.
- الرافعي الكاتب بين المحافظة والتجديد، د. مصطفى البدري (دكتوراه)، جامعة القاهرة ، ١٩٧٤م .
- معارك الرافعي التعليمية وأثرها في الأدب والشعر، د. محمد عزت أحمد (دكتوراه)، كلية اللغة العربية ، جامعة الأزهر، أسيوط ، ١٩٨٣م .

---

(١) وقد اقتصرتُ على ذِكْر الدراسات التي تناولتْ نثره ونقْده، وآثرتُ أن أذكر الدراسات غير المعروفة عند البعض، وإلا فهناك الكثير من الكتب ذائعة الصِّيت، لم أوردها؛ منعًا للحشو والإطالة ، وعلى رأْس هذه الكتب المشهورة : (دراسة في أدب مصطفى صادق الرافعي، د. نعمات أحمد فؤاد ، دار الفكر العربي، بيروت، ط.٢، ١٩٦٣م، "مصطفى صادق الرافعي".. فارس الكلمة تحت راية القرآن، د. محمد رجب البيومي، دار القلم، دمشق، ط.١، ١٩٩٧م، "مصطفى صادق الرافعي" كاتبًا عربيًّا ومفكرًا إسلاميًّا، د. مصطفى الشّكعة، الدار المصرية اللبنانية ، ط٣، ١٩٩٩م، ومن الكتُب المنشورة حديثًا: الآراء النقدية عند الرافعي بين النظرية والتطبيق، علي بختي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ٢٠١٤م، وغيرها من المؤلفات والدراسات التي تناولت أدبَه وفِكرَه وحياته ، ما لا يتسع المجال لذِكْرها .

- جهود الرافعي النقدية، إبراهيم محمد محمود، ماجستير، جامعة اليرموك، الأردن، ١٩٩٢م .
- فن الرسائل عند الرافعي دراسة تحليلية فنية، د. خليفة محمد إبراهيم (دكتوراه)، كلية اللغة العربية ، جامعة الأزهر، القاهرة ، ٢٠٠٢م .
- شِعريَّة الكتابة النثرية عند الرافعي، د. سعيد فرغلي حامد (دكتوراه)، كلية الآداب، جامعة أسيوط، ٢٠١٣م.
- تداخُل الأنواع الأدبية في مقالات وحي القلم للرافعي، عيشة بنت إبراهيم، كلية اللغة العربية، جامعة أم القرى ، المملكة العربية السعودية ، ٢٠١٦م.
- الرافعي نزعته النقدية في الشعر ومعاركه الأدبية، سيدي عالي جعفر، موقع إضاءات الإلكتروني ، ٦- ١٢- ٢٠٢٠م .

وهذه البحوث والدراسات لم تتطرق- في مُعظمها- لمقالات "وحي الأربعين" ، سوى مقالة "سيدي عالي جعفر"، فقد تعرّض لها كاستشهادٍ على معركته النقدية بين الأستاذ " الرافعي" (١٨٨٠-١٩٣٧م) والأستاذ "العقاد" (١٨٨٩- ١٩٦٤م)، دون تحليل أو نقد؛ إذ إن مقالات "وحي الأربعين" كانت بعيدة عن ميدان الدراسة والنقد، قبل أن تُنشر ضِمْن مقالات "الرافعي المجهولة" للأستاذ وليد كساب، في٢٠١٧م؛ ولهذا آثرتُ أن أتناول بنية الخطاب الحجاجي فيها مقاربة تداولية ، دون تحيّزٍ إلى طرَفٍ على حساب آخر، أو التسليم بكل ما جاء في هذه المقالات من حُجَجٍ، ولا مناقشة البراهين التي استدلَّ بها "الرافعي"، فليس هذا موضوع البحث وغايته .

خطة البحث :

وقد اقتضتْ طبيعة البحث أن يشتمل على تمهيدٍ **ومبحثين بعد المقدمة : وكان التمهيد مُحاولَةً لتحرير مفاهيم البحث الرئيسة** (الخطاب الحجاجي، النظرية التداولية، معارك "الرافعي" النقدية ومقالات "وحي الأربعين ") .

ثم المبحث الأول بعنوان (أنواع الحجاج في مقالات "وحي الأربعين"، ويحتوي على مدخلٍ للخصائص الحوارية للخطاب الحجاجي التداولي وأنواعه، ثم المبحث الثاني، والذي عنوانه" آليات الحجاج في مقالات "وحي الأربعين"، وقد تناولتُ فيه أبرز الآليات التي اتَّكأ عليها الرافعي من آليات لغوية، وبلاغية، وشِبْه المنطقية (السُّلم الحِجَاجي) ، وغيرها من المسائل والقضايا التي حاولتُ مقاربتها وتحليلها، مستعينًا بالمنهج التداولي في بُعده التواصلي والإنجازي.

وقد ذيَّلتُ البحثَ بفقراتٍ من الحَلَقة الأولى لهذه المقالات؛ كي يكون القارئ مدركًا لبعضٍ من طبيعتها، وعلى بينةٍ من خَطِّ سيْرِها ومنهجها، وجاءت الخاتمة في النهاية؛ لإثبات نتائج البحث، وبعض التوصيات والاقتراحات، ثم ثبتٌ بأهم المصادر والمراجع التي اتَّكأ البحث عليها .

واللهَ أسألُ أن يجعل هذا العمل صالحًا، ولوَجهه خالصًا، والحمد لله رب العالمين .

الباحث

تمهيد

ويشتمل على ثلاثة محاور: وجاء المحور الأول بعنوان "الخطاب الحِجَاجي بين التأسيس العربي والتنظير الغربي"، والثاني عرَّفتُ فيه "التداولية " وأبرز وظائفها، ثم المحور الثالث الذي عنوانه " المعارك النقدية للرافعي ومقالات "وحي الأربعين" :

أولاً: الخطاب الحِجَاجي بين التأسيس العربي والتنظير الغربي

اختصت العرب من بين الأمم بقوة حُجَّتهم، وفصاحة لسانهم، ونصاعة بيانهم؛ ولذلك كان القرآن الكريم كتابَهم، ونزل بلسانهم؛ فزادهم فصاحة على فصاحة، وبيانًا على بيان؛ ولهذا كانت القدرة على البيان شعرًا ونثرًا من شروط الزعامة، ومتطلبات القيادة، وكان الذمُّ والهجاء من نصيب العَييِّ الذي لا يكاد يُبِيْن.

ويحتل النثرُ الفنيُّ مكانة عُليا في الجدال والمنافرة والمخاصمة، والبلاغ والإنذار، فضلًا عن التواصل والإخْبار؛ ولهذا اهتمّ النقادُ الأوائل بالحِجَاج والإبانة والإقناع ؛ فأولوه اهتماما، وأفردوا له – في مصنفاتهم– فصولًا وأبوابا .

ومِن أكثر هؤلاء حرصًا على إبراز دور الإفهام والإقناع، وفضل الحُجَّة والبيان: صاحب" البيان والتبيين" (ت ٢٥٥هـ)، فالبيان عنده " اسمٌ جامعٌ لكل شيء كَشَف لك قناع المعنى، وهتك الحجاب دون الضمير؛ حتى يُفضي السامع إلى حقيقته، ويهجم على محصوله كائنًا ما كان ذلك البيان، ومن أي جنسٍ كان الدليل؛ لأن مدار الأمر والغاية التي يَجري إليها القائل والسامع، إنما هي الفَهم والإفهام، فبأي شيء بلغتَ الإفهام وأوضحتَ عن المعنى، فذلك هو البيان في ذلك الموضع"[(١)]؛ وعليه فإن الإفهام غاية أي حوار، وإليه ينتهي

(١) البيان والتبيين، للجاحظ ، ج١، ص٧٦، تحقيق الأستاذ. عبد السلام هارون ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، ط. ٧، ١٩٩٨م .

أي حِجَاج يسعى إليه طرفي الحوار، شريطة أن يُحدِّث المُخاطِب سامِعَه بلغة يفهمها، ورموزٍ وإشارات مشتركة بينهما، وهذه وظيفة اللغة التي عنَاها "ابنُ جني" (ت ٣٩٢هـ) في تعريفه لحدِّ اللغة ، التي هي "أصواتٌ يُعبِّر بها كل قومٍ عن أغراضهم" (١) ، ولكل قومٍ لغة ، ولكل قومٍ لسان .

وقد عرف العربُ أدبَ المناظرات ووضعوا له صفاتٍ وسمات ، كما جعلوا للجدال آدابًا ، يُظلِّلها سمُوُّ النفوس ومكارمُ الأخلاق ، ولهذا عَدَّ النقاد للجدال نوعين: مذمومًا ومحمودا ، وفي هذا يقول "ابنُ وهب الكاتب"(ت ٣٣٥هـ): " وأما الجدَل والمجادلة فهما قولٌ يُقصد بهما إقامة الحُجّة فيما اختَلف فيه اعتقاد المتجادلين، ويستعمل في المذاهب والديانات وفي الحقوق والخصومات... ويدخل في الشعر وفي النثر، وهو نوعان محمودٌ ومذموم ، فأما المحمود فهو الذي يُقصد به الحق ويُستعمل فيه الصدق، وأما المذموم فما أريد به المماراة والغَلبة، وطلب به الرياء والسُّمعة " (٢) .

ويدور مصطلحات الحُجَّة والحِجَاج والبرهان والإقناع ، على ألسنة النقاد العرب الأوائل، مستزيدين في آدابه وشروطه، مُحدِّدين سمات الحوار النافع، والمحاججة الهادفة، التي تُولِّي وجهها شَطْر الحقِّ والحقيقة، فهذا "أبو هلال العسكري (ت٣٩٥هـ) في مقْصد حديثه عن آداب المحاورة، وصفات الحُجَّة التي تَشْرح الصُّدور، وتُقنِع العقول، يقول: "فاللّطيف من الكلام: ما تعطف به القلوب النافرة، ويؤنس القلوب المستوحشة، وتلين به العريكة الأبيّة المستصعبة، ويبلغ به الحاجة، وتقام به الحُجّة؛ فتخلص نفسك من العيب، ويلزم صاحبك الذنب، من غير أن تهيجه وتقلقه، وتستدعى غضبه، وتستثير

(١) الخصائص، لابن جني، ج١، ص٣٤، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط. ٤، د. ت.
(٢) البرهان في وجوه البيان، أبو الحسين بن وهب الكاتب، تحقيق: د. حفني محمد شرف، ص١٧٦، مطبعة الرسالة ، مصر، د، ت .

حفيظته" [1]، الأمر الذي يؤدي إلى تعظيم المشترك ، لبناءٍ معرفي تواصلي بحيث تكون النتيجة المرجوَّة ايجابية .

كما نجد كذلك، مفردات (الاحتجاج، الاستدلال، الإقناع...) التي تدور على ألسنة أصحاب نظرية "الحجاج" حاضرة في الفكر اللغوي عند "حازم القرطاجنِّي" (ت ٦٨٤هـ)، فالكلام لا يخلو إلا أن يكون إخبارًا لخال الذهن وغير المنكِر، أو يتطلب برهنة وإقناعًا للمُجادل والمُناوئ ، يقول: " لما كان كل كلام يحتمل الصدق والكذب إما أن يَرِد على جهة الإخبار والاقتصاص، وإما أن يَرِدَ على جهة الاحتجاج والاستدلال..." [2] .

ولم يقتصر الأمر على الجانب التنظيري، بل تعداه إلى الجانب التطبيقي العملي، وهذا ظاهر في الفكر العربي الإسلامي، وأبرز نماذجه الإمام "ابن حزم الأندلسي الظاهري"(ت ٤٥٦هـ)، فقد امتاز بقدرة عقلانيَّةٍ جدليَّة؛ حتى لُقِّب بالمُفكِّر الحِجَاجيِّ[3]؛ لكثرة جداله في الأمورِ الفقهية والسياسية، وغيرهما، بيد أنه صاحب الموسوعة الموسومة: " الفصل في الملل والأهواء والنحل"، وقصد الغلبة ليست غاية المساجلات، بل الغاية إظهار الحق وبيان الحقيقة، كي لا يتحول إلى جدلٍ سفسطائيٍّ عقيم ، وإسفافٍ فكريٍّ ذميم .

وبِتَتَبُّع ما جاء في الفكر الغربي المُؤسِّس لنظرية "الحجاج" في العصر الحديث ، يتضح أنه بُني على قواعدَ تناثرت في مدونة النقد العربي وبطون كتب التراث، فجمع شتاتها، وبلور فكرتها، فموضوع نظرية "الحجاج" عند رائدين من رُوَّادها:"شاييم بيرلمان" (Perelman) (١٩١٢– ١٩٨٤م)،

---

(١) ينظر: الصناعتين، أبو هلال العسكري، ص٥١، تحقيق: علي محمد البجاوي ، و محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العنصرية – بيروت ، د . ت .

(٢) منهاج البلغاء وسراج الأدباء، حازم القرطاجني، تحقيق : محمد الحبيب بن الخوجة ، ص٦٣، دار الكتب الشرقية ، تونس ، ١٩٦٦م.

(٣) التحاجُج.. طبيعته ومجالاته ووظائفه، تنسيق: حمو النقاري، ص١٢٧، ١٢٨، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الرباط، ط١، ١٤٢٧هـ– ٢٠٠٦م.

وعالمة السوسيولوجيا البلجيكية" لوسي تيتكا "(lucie Tyteca)(١٨٩٩-١٩٨٧م) في كتابهما "مصنف في الحجاج – الخطابة الجديدة "[١] يرتكز على" درْس تقنيات الخطاب التي من شأنها أن تؤدي بالأَذْهانِ إلى التسليم بما يُعرض عليها من أُطروحاتٍ ، أو أن تزيد في درجة ذلك التسليم " [٢] .

ومن خلال هذا العرض لمفهوم "الحجاج" في الفكر النقدي العربي، والذي يمكن أن يمثله "الجاحظ"، والفكر الغربي، الذي يمثله "بيرلمان" صاحب نظرية "البرهان"(démonstratio) ؛ يتبين أن "الخطاب الحِجَاجي" ليس وليد العصر الحديث، بل يَمتلك جذورًا تراثية، أهمها ما جاء في "البيان والتبيين"[٣]؛ فمفهوم البيان عند "الجاحظ" – كما يشير الدكتور" محمد العمري" – هو الفَهم والإفهام بمختلف الوسائل التي يقتضيها المقام، سواء أكانت إشارية أم لُغوية " [٤]، يفهمها المخاطَب، وتؤثِّر في الحِجَاج .

ثانيًا: "**التداولية**" **الماهية والتطور:**

تنطلق التداولية (Pragmatique) من البنية اللفظية التي تمارس دورها في بنية الخطاب، مراعية مقتضى الحال، والمناسب لعنصر "السياق" القائم على الإحالات والأدوات اللسانية التي يحتوي عليها النص، وكذلك المقام/ موقف الاتصال، فيَنتخب المبدعُ من أنواع الكلام وأساليبه ما يتوافق واستعمال المخاطَبين، مدفوعًا بدوافع تُمليها عليه المواقف الراهنة، التي تجعله يؤثر صيغةً دون غيرها، أو مفردةً دون أخرى، أو الأطناب دون الإيجاز، أو

---

(١) ظَهر الكتاب في عام ١٩٥٨م.

(٢) في نظرية الحجاج دراسات وتطبيقات، د. عبد الله صولة، ص١٣، مسكيلياني للنشر، تونس، ط١، ٢٠١١م .

(٣) آليات تشكيل الخطاب الحجاجي، هاجر مدقن، مجلة الآداب واللغات، جامعة قاصدي مرباح ورقلة، الجزائر، العدد الخامس، مارس، ٢٠٠٦م ، ص١٨٩ .

(٤) ينظر: البلاغة العربية أصولها وامتداداتها، د. محمد العمري، ص١٩١، أفريقيا الشرق، المغرب، لبنان، ١٩٩٩م.

التقديم أو التأخير، أو التصرُّف في الرُّتب، أو العلامات السيميائة الأخرى، أو غير ذلك، حسب الموقف والمقام، فيَرتفع الإبهامُ ، ويُزال الغموض .

وهو ما يتطّلب الإلمام بتلك الظروف والعوامل الخارجية؛ لإنجاز تلك المضامين التي يتعيّن استيعابها داخل الخطاب، فالتداولية قائمة على نظرية " التوصيل" بين أطراف الكلام المختلفة ، مما يجعل لها سلطة ونفوذًا، في محيط النص الخارجي أو داخل البنية الكُلية للخطاب، " داخِلَه بتوظيف أدواته التعبيرية المفردة والمركبة، وكيفية إنتاجه للدلالة ، وخارِجَه بالنظر في مُستعملي هذه الأدوات وما يهدفون إليها، وهذه الملاحظة بين الداخل والخارج هي الأداة التي تعتمدها القراءة التداولية في متابعة النص تفسيرًا وتأويلًا وتحليلًا وشرحًا..." [١] .

وينطلق هذا التأطير من خلال التعريف الأَوَّلِيِّ الذي صُكَّ في التنظير الغربي؛ حيث إنَّ التداولية عُرِّفت في مَهْدِها بأنها "دراسة استعمال اللغة في الخطاب، شاهدة في ذلك على مقدرتها الخطابيَّة..."[٢]، وهو تعريفٌ لسانيٌّ يرنو إلى معرفة كُنه هذه الدوال الخاضعة لسلطان الاستعمال، فهي لا يتحدد معناها–غالبا– إلا من خلال دورانها على الألسنة، " مما يؤكد العلاقة الوطيدة بين التداولية و"علم اللغة"، بيد أنها تتجاوز علم اللغة؛ فالتداولية تبدأ من حيث ينتهي "علم اللغة" لتبحث عن الاستعمال والتواصل وعلاقة العلامات ببعضها بعضًا؛ ولذلك فهي فرع عن " السيميائية" .

وتُعنى هذه النظرية بالسياق، فهناك كلمات متجانسة تجانسًا تامًّا يقصد المتكلم واحدة منها، والذي يجهد المتلقي نفسه في معرفة أي معنًى

(١) ينظر: التداولية وأفعال الكلام، د. محمد عبد المطلب، مجلة فصول، مجلد ١/٢٥ عدد ٩٧، خريف ٢٠١٦م، ص ٦٥، ٦٦ .

(٢) المقاربة التداولية ، فرانسواز أرمينكو، ترجمة : د. سعيد علوش ، ص ٦، مركز الإنماء القومي ، د. ت.

يقصد، وهو ما "يسبب معضلةً للمتحدثين بغير اللغة القومية، لأنهم يفتقرون– غالبًا– إلى المعرفة بالخلفْيَّة الثقافية التي يستقي منها متحدثو اللغة القومية"(١).

ولذلك اتسعتْ دائرة هذا النفوذ التداولي؛ " ليصل إلى مفهوم الخطاب على وجه العموم ليتجاوز الأدبية إلى خطاب الخطابة والرسائل والمقامة والمناظرة..."(٢)، مما يشير إلى أن "التداولية" لا تعزف منفردة في الدرس النقدي ، بل يدور في فلكها مناهج ونظريات تهتم بمقاربة الخطاب وتحليله، فهي ملتقى لتلك المناهج والعلوم، وبخاصة علم اللغة الاجتماعي ، وعلم اللغة النفسي، فهما يساعدان "التداولية" في تحديد العلاقات الاجتماعية المتبادلة بين طرفي الخطاب ؛ الأمر الذي جعل" فرانسيس جاك"(F. Jacques): يجعل لها تعريفًا جامعًا، فهي" تتطرَّقُ –عنده – إلى اللغة كظاهرةٍ خطابية وتواصلية واجتماعية معًا"(٣)، مما يرتب العلاقة بين أركان العملية التواصلية: (المُرسِل، الخطاب، المُستقبِل)، فيراعي المُنشئ السياق والمقام واستخدام العلامات المُوحية، ويحاول المتلقي إدراكها، وتأويل مقاصدها، وتفسير البُعد اللغوي والنحوي والاستعمالي للدوال، ومكانها السياقي والمقامي وإدراك المتغيرات، وتحاوِلُ "التداولية" إعطاء شروحٍ وتفسيرات لهذه التكييفات الطارئة على بناء الخطاب .

ثالثًا : المعارك النقدية للرافعي ومقالات "وحي الأربعين" :

مع مطلع القرن العشرين نشأتْ عدة معارك نقدية بين الأدباء كان "الرافعي" طرفًا رئيسًا في معظمها؛ نظرًا لمذهبه في الأدب والنقد، ودفاعه عن التراث والأصالة والهُوية، ومحاربته الانحراف والتغريب، وأشهر معاركه كانت بينه وبين الأستاذ "العقاد"، على صفحات مجلة "**الثُّريا**" و"**العصور**"، و"**البلاغ**"،

(١) ينظر: المعنى في لغة الحوار، مدخل إلى البراجماتية (التداولية) ، جيني توماس، ترجمة: د، نازك إبراهيم عبد الفتاح، ص٢٤، دار الزهراء– الرياض، ط. ١، ٢٠١٠م.

(٢) ينظر: التداولية وأفعال الكلام ، ص ٦٥، ٦٦ .

(٣) المقاربة التداولية، فرانسواز أرمينكو، ص ٦ .

و"**الرسالة**"، **والمقتطف**، وغيرها من الصحف والمجلات التي شهدتْ معارك نقدية نِزَاليَّة ضاريَة؛ كان لها أكبر الأثر في مسيرة النقد الأدبي في العصر الحديث، والشائع أن مقالات "**على السَّفُّود**" [١] هي المعركة الأبرز بينهما؛ وذلك لتناول النقاد ومؤرخي الأدب لها، أما مقالات "**وَحْي الأربعين**"– موضوع البحث– لم تأخذ حقها– حسب علمي– من الدراسة والنقد[٢]، فضلًا عن النَّشْر من قِبَل دراسي أدب "الرافعي"، وما أكثرهم !! مع أنها كانت معركةً حامية الوطيس؛ إذ كانتْ ردًّا على ديوان "وحْي الأربعين" للعقَّاد .

وقد امتاز "الرافعي" في حِجَاجه بأسلوبٍ نقديٍّ لاذع، أقرب إلى الهجاء منه إلى النقد الموضوعي الهادف، وقد عُرف الرافعيٌّ بهذا النَّسق من الأسلوب، حتى صار عَلَمًا عليه ، وبخاصة مع "العقاد" ؛ فقد كان بينهما من الغَيْرةِ والخصومة ما بينهما[٣]؛ ولذلك كان "الرافعي" يبالغ في النقد والتقريع ،

---

(١) استَخدم الرافعي في هذه المقالات أسلوبًا لاذعًا، وذلك في مجلة "العصور"، لصاحبها الأستاذ " إسماعيل مظهر" ، وذلك في أواخر عام ١٩٢٩م.

(٢) وقد أشار إليها الأستاذ " محمد سعيد العريان"، والأستاذ " أنور الجندي"، والدكتور" محمد أبو الأنوار" ...) في كتُبهم التي تناولتْ أدب" الرافعي"، إلا أنها لم تُنشر ضمن الأعمال الكاملة للرافعي، ولم تحظ بالدراسة اللائقة بها. ويرجع الفضل في التنقيب عن هذه المقالات، ووضعها في الصدارة مرَّةً أخرى إلى الأستاذ "وليد كساب"، الذي جَمَع مقالات "الرافعي" المجهولة في جزأين، نشرتهما "المجلة العربية"، الأول: رقم (٢٤٩)، عدد ٤٨١، صفر ١٤٣٨هـ– نوفمبر ٢٠١٦م ، وكانت مقالات "وحي الأربعين" في الجزء الثاني، كتاب رقم ٢٤٩، عدد ٤٨٨، رمضان ١٤٣٨هـ– يونيو ٢٠١٧م، ص ١٩: ٧٢.

(٣) ومِن أسباب هذه الخصومة: ما ذَكَره الأستاذ "أنور الجندي" في معاركه الأدبية: "الصراع بين المدرسة القديمة والمدرسة الحديثة، بين علَمين من أكبر أعلامها، بين "الرافعي" و"العقاد"، وكانت الخصومة بينهما قديمة، لها جذور بعيدة المدى منذ إصدار كتاب "إعجاز القرآن" ، وقرَّظة "سعد زغلول"؛ وغضب "العقاد"، واتّهم "الرافعيَّ" بأنه هو كاتب التقريظ، واتَّهم سعد زغلول، ونامت الخصومة، ثم تجددتْ...". المعارك الأدبية، أ. أنور الجندي، ص٥٧٠، مكتبة الأنجلو المصرية، ١٩٨٣م .

ويقسو في اللوم والتجريح ، وأبرز مثالٍ على ذلك ما كان يُصدِّر به مقالاته "**على السَّفُّود**" ، وهو قوله مخاطبًا " العقاد" : (الوافر)

وللسفُّود نـارٌ لـو تَلَقَّتْ بجاحِمِها حديدًا ظُنَّ شَحْمَا

ويَشْوِي الصخرَ يتركه رَمَادًا فكيف وقدْ رميتُك فيه لَحْمَا (١)

ويبدو أن من أسباب ظهور النقد عند "الرافعي" بهذه الصورة، ما كان يحيط به من ظروفٍ اجتماعية ونفسية وفكرية وتاريخية، حيث إنه ظهَر في حِقْبةٍ من الزمن " كان الأدب فيها حائرًا بين مذاهب المحافظين والمجددين، فآثر الرافعي أن يكون تيارًا وَحْده ، يبحث في التراث القديم ويأخذ منه ويتمثّله في أسلوبه، ويُجدِّد من صوره ، وينشر ما طوي من بلاغته على نمط لا تكاد تجد له نظيرًا في آثار المعاصرين"(٢).

وقد أَطلق "العقادُ" على ديوانه: "وحي الأربعين"؛ لأن معظم قصائده نظَمها عندما بلغ الأربعين من العُمْر، وما إنْ نُشر الديوان، وبات في متناول القُرَّاء، حتى انبرى له "الرافعي"؛ لينسف الديوان من جذوره نسْفًا، من خلال نقْضِ مذهبه وفلسفته وأسلوبه ولغته وصُوَرِه ، في خطابٍ حِجَاجيٍّ إقناعيٍّ بيانيٍّ من طرازٍ فريد، فالكاتب هو "الرافعي" و(الخَصم) هو "العقَّاد"، والجريدة التي نُشر فيها " وَحْيُ الأربعين" هي" البلاغ"، والمقال الأدبي–حينئذٍ– كان له القِدْح المُعلَّى؛ نظرًا لما كانت تشهده تلك الفترة من نشاطٍ أدبيٍّ ونقديّ ، قَلَّ أن يجُود الزمانُ بمِثْله .

---

(١) مجلة العصور، مجلد ٥، عدد٢٦، السنة الثالثة ، أكتوبر ١٩٢٩، ص٥٠٦.

(٢) ينظر: الأدب العربي الحديث، د. محمد عبد المنعم خفاجي،ج٤، ص٨١، مكتبة الكليات الأزهرية، د. ت.

المبحث الأول

أنواع الحِجَاج التداولي في مقالات "وَحْي الأربعين" للرافعي

للخطاب الحِجَاجي في معرض التخاطب الإنساني أنواعٌ تختلف عن غيره من الخطابات؛ نظرًا لطبيعته التشكيلية والغائية، واختلاف قناعات وتوجّهات المرسِل والملتقي.

وهو ما ظهر جليًّا في هذه المقالات التي تُعَدّ أنموذجًا لهذا النوع من الخطاب، الذي شكّل فيه الحوار بُعدًا كاشفًا للنظرية التداولية في الخطاب الحِجَاجي، إذ تشتمل على مرسلٌ ومستقبِل، ففيها يحاول المرسِل/ الرافعي أن يجعل لحُجَجِه الفوزَ والغَلبة، وينطلق من المسلمات والبدهيات في ترتيب منطقي؛ حتى ينتهي إلى إفحام خصمه بما يريد، عن طريق انتزاع الموافقة على ما انتهت إليه الحُجَّة، عبر تأثيرات مختلفة: انفعالية ودلالية وبلاغية، وهو ما يوحِي بظلال النظرية التواصلية التي تتطلب قناة اتصالٍ(Means of communication)، وما تُمثِّله من علامات الإشارة والتنبيه، فضلًا عن المتحاوِرَين/ المرسِل والمتلقي، والعلاقة بينهما التي تتمحور حول التعبير والإفهام، والرسالة /المحتوى (Message) التي تُحيل على العلامات والعلاقات المشتركة بين المرسِل، والمرسَل إليه .

وقد تسلَّحُ الرافعي بأدوات اللغة، التصريحية منها والإيحائية، ومن الروابط والعلامات والأساليب البلاغية والمنطقية، وغيرها؛ ليخوض بها– مجتمعة ومتعاونة– غِمْار معركته النقدية، مراعيًا القواعد الخطابية الأربع، وهي:" قاعدة الكَمْ، التي تشترط الإفادة على قدْر الحاجَة، والكيْف؛ فلا ينبغي قول شيءٍ يصعب إثباته، والعلاقة؛ لتراعي المناسبة، وأخيرًا: الجهة؛ للاحتراز من الغموض والاضطراب"[(١)]؛ ليتحقق له في نفْسه –على إثر ذلك– ما يرجوه

(١) ينظر: اللسان والميزان أو التكوثر العقلي، د. طه عبد الرحمن ، ص٢٦١، ٢٦٢، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط. ١، ١٩٩٨م، .

من صِحَّةِ حُجَجِه، وصِدق براهينه، وذلك عبر الحجاج بأنواعه المختلفة، سواءً أكانت تجريدية، أم توجيهية أم تقويمية .

وعلى هذا فإن للخطاب الحجاجي- بحسب المرسِل- ثلاثة أنواع، فإن كان الهدف هو الوصول إلى نتائج صحيحة عبر مقدمات متدرجة على طريق أهل البرهان، فهو الحجاج التجريدي، وإن كان الهدف إرسال محتوى الرسالة، دون التفكير في ردة فعل المخاطَب وحُجَجِه المتوقَّعة، فهو الحجاج التوجيهي، أما إن استحضر المنشئ هذه الحُجج والدُّفوع ، فهو الحِجَاج التقويمي[١]، ولكلِّ نوعٍ من هذه الأنواع خصائص وسمات، مع أنها قد تتعاون وتتداخل في موقف تواصلي واحد، وهي كالتالي:

أولا . الحِجَاج التجريدي[٢] .

وفيه يعنى المرسل بالصورة والشكل على حساب مضمون الرسالة، وَحَدَّه هو "الإتيان بالدليل على الدعوى، مثل ما يَفعل أهل البرهان"[٣]، فينصرف فيه الاهتمام إلى صوغ العبارة، وترتيب التراكيب المتوالية، وهو أضعف أنواع الحجاج كما يقول صاحب "اللسان والميزان" ، لكنه قد يكون قويًّا إذا جاء في موقعه، باعتبار مقتضى الحال، ولذلك اعتمد عليه "الرافعيُّ" في بعض حُجَجِه، بأنْ توصَّل إلى بعض ما يصبو؛ عن طريق جُملة الشرط، أو السبب والنتيجة، أو القياس والاستلزام الحواري ، وغيرها من العلاقات التي يتّكئ عليها أهلُ المنطق في الوصول إلى النتائج المُبتغاة .

ومن نماذج ذلك ما جاء في الحلقة الأولى من مقالات "وحي الأربعين" الذي حاول فيه الرافعي الانتقاص من المكانة الأدبية للعقاد، يقول: "**فما من حِرْفةٍ إلا وهي تُعين صاحبَها على القوة ، في أشياء بطبيعة**

---

(١) ينظر: اللسان والميزان، ص ٢٢٦، ٢٢٧، ٢٢٨.

(٢) وهذا النوع من الحُجج ، يندرج تحت الآليات شِبْه المنطقية، والتي سيأتي الحديث عنها بالتفصيل في نهاية المبحث الثاني، إن شاء الله .

(٣) اللسان والميزان، ص ٢٢٦ .

المُلابَسة، وتبتليه بالعجْز عن أشياءٍ تقابُلها ، وكما يعتادُ المرءُ القوة بأسبابها يعتاد العجز بأسبابه كذلك، فمن ثَمَّ ما تراه في شِعر "العقاد" مِن أثر كل ذلك، مَعَانٍ ملخَّصة تلخيص الأخبار المحلية، وقصائد هي مقالات فسَدتْ؛ فصارت نظْمًا وصناعة..."[(١)].

فإن قوله: " فمن ثم ما تراه في شعر العقاد ..." نتيجةً حاول "الرافعي" أن يصل إليها بعد عِدّة مقدمات، فقد سلَّط الضوء على مهنة "العقَّاد"، وحُبِّه للصحافة، وإبداعه في كتابة المقالات ، وبخاصة السياسية منها، والرافعي بهذا الاعتراف، لا يمتدح وظيفة غريْمِه، بل يعظِّمُها ويُعزِّزُ مكانَتها ، من أجل أن يصل إلى نتيجة مفادها: أنَّ مَن يَصلُح لمثل هذه الوظيفة ، ويحترف هذه المهنة، لا ينبغي له – بحسب رأي الرافعي– أن يَعُدّ نفسه من المبدعين، ولا يقف تحت راية الشعراء المُجيدين.

بيْد أن المخاطَب عليمٌ بمِثْل هذا الأسلوب الذي تلقّاه من الباثّ، فإنه ينشأ عن التفاعل والتحاور فضاءً لُغويًّا مشتركًا؛ يعمل على تنبيه المخاطب إلى استعمالات الألفاظ، وإفهامه قصدية المنشئ ، باعتبار السِّياق وسيميائية اللغة .

ويستشهد "الرافعي" بشعر "العقاد"، ويأخذ منه ما يرد به عليه، يُقدِّم القاعدة أولًا ، ثم يُثبت ما ينقضها بعد ذلك، يقول[(٢)]: "ومن ذوق العقاد قوله في تلك القصيدة يخاطب الحبيب: (الرمل)

---

(١) الحلقة الأولى من مقالات "وحي الأربعين"، جريدة" البلاغ "،٢٢ ذو القعدة، ١٣٥١هـ= ١٨مارس١٩٣٣م ، المقالات المجهولة ، أ. وليد كساب، ج٢، ص ٢٥، وهو التوثيق المُتبع في النماذج اللاحقة– إن شاء الله– حيث سيّذكر أولاً عدد جريدة البلاغ ورقم الحلقة ، ويُلحق بها " المقالات المجهولة " .

(٢) وهذا البيت الذي استَشهد به الرافعي؛ للاستدلال على ضَعف شِعر "العقاد" كان مجالًا للتأييد والرفض بين أنصار الأستاذ "الرافعي" وأنصار الأستاذ "العقاد"؛ فقد دافع الأستاذ "سيد قطب" عن "العقاد" قائلًا: " إن الرافعي يتلاعب بالألفاظ اللغوية، دون الوقوف على ما=

فيك منّي ومِن النَّاس ومِنْ كُلِّ موجودٍ وموعودٍ توأَم[١]

قلنا { والقول للرافعي} فإن " **مِن كل موجود** " : البقُّ والقُمَّلُ والنمل والطاعون... أفيكون من هذا–كله– في حبيب على مذهب العقاد في ذوقه ولغته وفلسفته"؟!"[٢]، وهذا السؤال الاستنكاري الذي يطرحه الكاتب على المخاطَب، يستند إلى قاعدة نحوية ، وهي قاعدة الشمول والإحاطة ، أي قول العقاد " **مِنْ كل**"، ثم انطلق منها ليَحكم على صاحب البيت بفساد ذوقه، وذلك حسب رأيه.

غير أن هذا النوع من الحُجج مستقلٌ بذاته، لا يأخذ في الحسبان رد فعل المخاطب، أو توجيهه أو تقويمه، بل الاستدلال عن طريق المقدمة والنتيجة، لإرادة الغلبة والانتصار في المعركة النقدية القائمة.

(ثانيًا) الحِجَاج التوجيهي :

وفيه يكون اهتمام المنشئ بحجته واستدلالاته، دون العناية كثيرًا إلى ردة فعل المخاطَب، وهو ما أكثر منه الرافعي في هذه المقالات ؛ إذ كان لا يهدأ له بالٌ حتى يَفْرغ من كل حُججه وردوده على العقَّاد؛ لموسوعيَّة ثقافته، وتبحُّره في علوم اللغة، والثقافة الإسلامية على تنوُّعها، فضلًا عن ما كان ما بينهما من خصومة؛ مما جعله لا يقيم وزنًا –غالبًا– لحُجج غريمه؛ ازدراءً وعُلوًّا، فينصبُّ اهتمامه على بناء خطابه، مستعينًا بآليات الحِجَاج وتقنيات المناظرة، التي يؤثرها على غيرها؛ لتُسهم مع غيرها في بناء نسيج الخطاب.

=تشعُّه في الخيال من صورٍ طريفة"، بينما وافق الأستاذ "محمود شاكر" والأستاذ "علي الطنطاوي" –وغيرهم– على ما استَند إليه "الرافعي"، وقد ذَكَر الدكتور "محمد أبو الأنوار" هذه المعركة النقدية بالتفصيل في كتابه "الحوار الأدبي حول الشعر". ينظر: مقال "بين الرافعي والعقاد"، أ. محمود شاكر، مجلة الرسالة عدد ٢٥٤، تاريخ ١٦– ٥– ١٩٣٨م، الحوار الأدبي حول الشعر، د. أبو الأنوار ، ص ٣٣٣، وما بعدها، مكتبة الآداب، ط.١، ٢٠٠٧م .

(١) ديوان " وحي الأربعين" ، للعقاد، ص ٥٥، مؤسسة هنداوي، ٢٠١٣م.

(٢) جريدة" البلاغ " الحلقة الأولى، مارس١٩٣٣م، "المقالات المجهولة"، ج٢، ص ٣٣.

ومن نماذج ذلك ما أورده في حلقته الأولى، يقول: " **ولعَمْرِي كيف يُفلح مثل هذا الطائش كاتبًا سياسيًّا، والسياسة علم الحَذَر والدِّقة والميزان والتهكُّم والأساليب البيانيّة ... ولا يكفي في الدلالة على غباوة "العقاد" السياسية – بعد غباوته الأدبيّة– أن كلمةً[1] من كلماته الحمقاء ألقتْ به في السِّجن تسعة أشهر**"[2].

ينفي الرافعيُ عن غريمه حِرْفتي السياسة والأدب، فالعقاد كان رجل صحافة وسياسة – وهذه حقيقة– يفخر بهما على الرافعي، وهو ما هدمه "الرافعي" في سطرين، مفيدًا من الآليات شبه المنطقية التي تبْنِي نتيجة على مقدمة أو عِدَّة مقدمات؛ فالمنهزِم في مجال السياسة منهزمٌ في مجال الأدب – حسب رأي الرافعي– مستثمرًا الروابط الحجاجية وأدوات العطف، وترتيب الحُجج ، وتنسيق العِلِل، وغيرها من الآليات والمستويات الحجاجية في منازعة غريمه، ووضعه في المكانة التي يرغب أن يراه فيها، كل ذلك في نَأْيٍ عن حُجَجَ خصمه وبراهينه؛ ليخلو له الحديث، ويطيب له النِّزال .

ويكثُر في هذا النوع المُشتمل على التعليم والتنظير، ليخلق– في خطابه– فضاءً ضمنيًا يوحِي بِعُلوِّه على خصمه وتفوقه عليه، فيُنزل نفسَه منزلة الأستاذ المُعلِّم، ومن ذلك ما جاء في ثنايا مقالاته : **(ولو دَرَسَ العقاد مُطوَّلات كتب النحو، وكان ذا سليقة وفَهْمٍ؛ لرأى من الغلط ما لا يُحصى...**"[3].

---

(١) بدأتْ هذه الفترة في١٣ أكتوبر ١٩٣٠م، وانتهت في٨ يوليو ١٩٣١م؛ وذلك نتيجة مواقِفه السياسية والوطنية ، ودفاعه عن الدستور، حتى قال تحت قبة البرلمان المصري – وقد كان نائبًا عن الشعب– " إن الأمة على استعداد لأن تسحق أكبر رأسٍ في البلاد يخون الدستور ولا يصونه". ينظر: **عالَم السّدود والقيود**، للأستاذ "العقَّاد"، ص٦، المكتبة العصرية، بيروت، د. ت، يُنظر– أيضًا– "**أساتذتي**"، للأستاذ نجيب محفوظ، ص٩٦، دار ميريت للنشر، القاهرة، ط.١، ٢٠٠٢م.

(٢) البلاغ، الحلقة (٤) مارس، ١٩٣٣م ، "المقالات المجهولة" للرافعي، ج٢، ص ٦٩.

(٣) البلاغ، الحلقة (٣) مارس ١٩٣٣م ، المقالات المجهولة للرافعي، ج٢، ص٥٦.

إذ يريد الرافعي – من خلال هذا النموذج وغيره– قبول المخاطب للرُّشد والتوجيه، والاعتراف بالخطأ، ولذلك يحرص على استخدام مفردات قد تحمل في طياتها مضامين أوسع من دلالاتها المجردة، أو حمولات معرفية تزيد عن معناها الأصلي، لكنها تكتسب هذه البعد التداولي من خلال السياق الذي يحرص المنشئ على صنْعه ، ومن المعلوم أن من مهام التداولية " دراسة استعمال اللغة، لا من حيث بنيتها، بل عند استعمالها في الطبقات المقامية المختلفة، أي باعتبارها كلامًا محددًا صادرًا من متكلِّمٍ مُحدَّد، وموجهًا إلى مخاطَب مُحدَّد؛ لتحقيق هدف تواصليٍّ معين مقصود"(١).

وفي هذه المقالات نماذج كثيرة في معرض حُجَجه التوجيهيَّة، كقوله :" **نريد أن نـدُلَّ العقاد على...**"، **وقولـه:** " **فلو كان العقاد نَظَم الكلامَ علَـى...**"، حيث إن المقاربة التداولية لا تقف عند حدود المعنى الحرْفيّ للخِطَاب، بل توازِن بين اللغة وقصديَّة المرسِل، فضلًا عن العناصر السياقية المصاحِبة؛ فتتعاون جميعًا لتشكيل عتبةٍ إفهاميَّة، يُدركها المتلقي، ولا يبتعد كثيرًا عن هدف الخطاب وغايته الرئيسة .

فإن المنشئ لا بُدّ له في الخطاب من إدراك معايير ثلاثة:" معيار لغوي، ومعيار اجتماعي، ومعيار هدف الخطاب"(٢)، وهو ما استطاع الرافعي– في معظم مقالات الدراسة– من تحقيقه ، ولذلك كان يجْنح نحو كل ما يساعده في السيطرة على مُجريات المعركة النقدية ، ومحاولة الغلَبة فيها، بل إنه اتَّكأ على بعض النصوص النبويّة، التي لها في قلوب المسلمين مكانٌ ومكَانة؛ توطيدًا لحُجَجِه، وتأكيدًا على براهينه؛ لعِلْمه أن هذه الاستراتيجية في الخطاب أنجع من غيرها، وبخاصة في الحِجَاج التوجيهي، يقول:" **فاعْلَمْ– يا بُنـي– أن**

(١) التداولية مقدمة عامة ، خلف الله بن علي، مجلة اتحاد الجامعات العربية للآداب، الجزائر، مجلد ١٤، عدد١، ٢٠١٧م ص ٢٢٦ .

(٢) يُنظر: استراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية تداولية، عبد الهادي بن ظافر الشهري، ص ٨٧، ٨٨، دار الكتاب الجديد، بيروت، ط. ١، ٢٠٠٤م.

الحديث الشريف لم يقُل: "أحب الأعمال أخلُدها"(١)**، ولو أرادها لاستَعملها، ولكن من المُحال- يا بُني- أن تأتي هذه الكلمة بهذا الاستعمال في كلام أفصَح الخلْق** - ﷺ- ..." (٢).

وهذا النوع- كما أسلفتُ - يُركِّز فيه مُنشئه على ادِّعاءاته، وجمْع استدلالاته، لأنه خطابٌ يخصّ المرسِل، فهو الآن لم يستحضر- بعدُ- حُجَج غريمه، والدفوع التي يتبرَّا بها من هذه الأحكام التي يراها جائرة .

وقد حاول "الرافعي" في توجيه حِجَاجه، أن يُبعد عن "العقاد" صفة الشاعرية بأساليب مختلفة ، ووسائل متنوعة ، فقد أخذ من تقديم "العقاد" لبض قصائده بنثرٍ شارح - وهو عُرْفٌ متبعٌ عند بعض الشعراء- مثالًا على جمود شعره ، وضعْف خياله، يقول:" **وقد ترى النَّظْم في ديوان العقاد كأنه مُغمىٌ عليه ، وترى الشَّرح له كأنه "عملية التنَّفس الصناعي"، وهذا مما يُؤكد أن طبيعة الرَّجُل غيرُ طبيعة الشاعر؛ فإن أجمل الشعر وأبدعه وأدقه في الصناعة البيانية لا يمكن شرحه إلا بألفاظه بعيْنها؛ فإن في هذه الألفاظ ونسقها وروحها سِرُّ الفنِّ كُلِّه**"(٣).

ويبدو حِرص "الرافعي" على الحشد الهائل من الاستدلالات، مُتطرِقًا إلى الطبيعة الشخصية لخصمه، وكذلك نقد طبيعة شِعره الذي يرى أنه بعيد عن صنعة الشعر وطرائقه، كما يراها منشئ الخطاب، والمدرسة التي ينتمي إليها.

---

(١) وسبب الخلاف: أن "الرافعي" خطَّأ العقاد في قوله :"**أخلد الخالدين فينا دعيٌّ** ..."، فقال "الرافعي" :" إن الخلود لا يجوز فيه التفضيل؛ لأنه أمر لا تفاوُت فيه، فاحتجَّ "العقاد"، بقول النبي- ﷺ-"**أحبُّ الأعمالِ إلى الله أدومُها وإنْ قَل**". (البخاري ٥٨٦)، فقال الرافعي: "الدوام- يا بُني- معناه طول الزمن، وطول الزمن يا بني أمر يتفاوت..." . ينظر المقالات المجهولة ج٢، ص ٣٥ .

(٢) البلاغ ، الحلقة (٣) ، المقالات المجهولة ، ج٢، ص٥٨ .

(٣) البلاغ ، الحلقة (٢) ، المقالات المجهولة ،ج٢، ص٤٢.

وظاهرٌ في هذا النموذج –وما سبَقه من نماذج– محاوَلة "الرافعيُ" إقناع صاحبَ "وحي الأربعين" بوجهة نظره ، سواءً أكانت هذه الاستدلالات والبراهين التي اتّكأ عليها منطقية، وتستند إلى قواعد لغوية ونقدية أجْمَعَ عليها اللغويون والنُقَّاد، أم لا، لكن هذه الحُجج التوجيهية لا تَفترِض حُجج المستقبِل، ولا تتبنَّى وجهة نظره ؛ فيرد عليها ، كما هو في الحجاج "التقويمي".

(ثالثًا) الحِجَاج التقويمي(١):

أفاد الرافعي من هذا النوع من الحِجَاج – وإن بصورةٍ قليلة– فقد كانت تشغله أقواله وردوده الخاصة، وذلك كما في الحجاج التجريدي والحجاج التوجيهي، أما الحجاج التقويمي، فلا يكتفي المنشئ فيه بسرد الحُجج، وتقديم البراهين، " بل يتعدّى ذلك إلى النظر في فِعل التَّلقي، باعتباره –هو نفسه– أول مُتلقٍ لما يُلقي، فيبني أدلَّتَه أيضًا على مقتضى ما يتعيَّن على المستدل له أن يقوم به"(٢)، فيجعل المنشئ من نفسه ذاتًا أخرى، على سبيل التجريد، حيث يتحاور معها ، ويستبق ما يمكن أن تتقدَّم به مِن دُفوعٍ واعتراضاتٍ على الادّعاءات التي تُوجَّه إليها؛ الأمر الذي يَستدعي آلية التفاعل وتبادل الأدوار، وهو ما يُنشِّط الذِّهنَ، ويُعلي من ديناميكية الخطاب .

غير أن "الرافعي" كان يَستدعي حُجَجَ خصمه، ويَذْكرُها –أولًا– ثم يرد عليها، سواءً قيلتْ في الحقيقة، أم أنه استَبَقَها واستَحضرَها من خلال معرفته المُسبقة بخَلْفيّة غَرِيمه وروافده ومُكوّناته، فضلًا عن اتجاهاته النفسيَّة، وصفاته الشخصيَّة، بل إنه كان يُعلن تأويلاته للاعتراضات والدفوع ، حسب ما يوافق غرض نفسه، وما يساعده في إعلان انتصاره ، وإعلان هزيمة خصمه؛ حيث "إن الألفاظ الدالة على التخاطب تومئ إلى فكرة التفاعل أو تبادل الأدوار في

---

(١) التقويم في اصطلاح الفلاسفة: تحديد قيمة الشيء بإطلاق حُكمٍ قِيَمي عليه يرفعه أو يحطه؛ طبقًا لمعايير أو مبادئ قوامها العقل، أو التواضع الاجتماعي، أو ذاتية عاطفية خاصة . ينظر: الحِجَاج في القرآن ، د. عبد الله صولة، ص ١٢٩، ١٣٠.

(٢) ينظر: اللسان والميزان، ص ٢٢٨ .

الحلقة الكلامية، فالمستمع متلق قد يتحول إلى متكلم، والسائل متكلم يتحول إلى متلق... وفق ما يقتضيه موقفٌ تواصليٌّ مُعيّن، وتتضح دلالات تلك الألفاظ، ويتجلّى مدى ارتباطها بالمتكلم أو المتلقي حين تُوظَّف في النصوص"[(١)]، ومن خلال هذا الجدول، يتبيَّن كيف كان "الرافعي" يجْنح نحو هذا الأسلوب، وهو من نصوص الحلقة الرابعة والأخيرة من المقالات [(٢)] :

كلام العقاد	تأويل الرافعي
عندي ما يشغلني	ليس عندي ما أَرُدُّ به .
اذهب إلى عالم الأشباح الذي ألقيتُ بك فيه منذ سنوات !	دعني الآن من فضلك كما تركتني مدة سنوات مضت .
لن تظفر منَّا بعد اليوم بجوَاب .	هأنذا أعلنت هزيمتي .

والمتأمِّل يَرى أن الرافعي أفاد من طاقة اللغة، وما تحتوي عليه من كفاءة تداولية، ومحاولته إعطاء دلالات ومعانٍ للنص قد لا يشتمل عليها؛ خدمة لغرضه، وإمعانًا في هزيمة خصمه، ومن ذلك– أيضًا– هذا البيت الذي أخذه على العقاد ، وهو قوله : (الخفيف)

إنما تسلُس الطِّلابُ جميعًا لامرئٍ هانت الطِّلابُ عليْه[(٣)]

يقول الرافعي: " وإنما يريد بالطِّلاب جمْع "طَلِبَة"[(٤)]، وإنما الكلمة مصدرُ مفردٍ مُذكَّر، و"طَلِبَة" ككَلِمة تُجمع على طَلَبات ككلِمات، وقد استغنوا بها عن جمع

(١) التداولية .. مقدمة عامة ، ص ٢٢٩ .

(٢) البلاغ، الحلقة (٤)، المقالات المجهولة ، ص ٧٠.

(٣) "االبلاغ" (٢)، المقالات المجهولة، ص ٣٦، وَوَرد هذا البيت في ديوان "وحي الأربعين"، تحت عنوان " الخبز والفقير" ، ص ٢٦ .

(٤) "الطِّلْبَةُ": ما كان لكَ عند آخرَ مِن حَقٍّ تُطالِبه به، والمُطالَبة أَن تُطالِبَ إنسانًا بحقٍّ لكَ عنده ولا تزال تَتَقاضاه وتُطالبه بذلك، والغالب في باب الهَوى الطِّلابُ. لسان العرب، (طلب) .

"طِلْبة"، وهذه لم نقف لها على جمْع ، ولعلّ "العقاد" رأى بيتَ "الشَّريفِ الرضيِّ" (ت ٤٠٦هـ) : (الطويل)

وعبءٌ على عيْنيَّ رؤيَةُ غيرِهِ وإنْ كان لي فيهِ مُنًى وطِلَابُ[١]

فحسبها جمْعًا، وإنما هي المصدر بمعنى الطَّلب" [٢]، ويلاحَظ أن "الرافعي" قد استحضر الدافع الذي حدا بالعقاد أن ينظم بيْته بهذا الشَّكل، والشاهد الذي اتكأ عليه؛ ليُعلن خطأ الاستشهاد فالبيت الأصيل/ السابق لا يتوافق مع الآنيِّ/ اللاحق في المعنى ، وبهذا يكون قد وأد الحجة في مَهْدها ، وهو ما فعله أيضًا في الحلقة الثالثة ، فاستخدم فيها تعبيره: "**ولك أن تقول إنه انطوى على كل شيء... لكن...**"[٣]، وذلك من أجل الهدف ذاته، وهو التنبؤ باعتراضاته ، ثم يدحضُها تِباعًا .

وفي المقالة ذاتها يُجري "الرافعي" حِجَاجًا حواريًّا يَستدعي فيها حُجَجَ خصمه التي من الممكن أن يدفع بها عن نفسه، ويرد عليها واحدةً تلو أخرى؛ إثباتًا لتمكنه من براهينه واستدلالاته ، فيقول: "وقال "العقاد" في الرد على ما خطَّأناه به من قوله: "الآن فاذهب تستريح"، قال:" إذا كان النحو الأمريكاني الحديث يُخطئنا في ضمِّ "تستريح"، فالنحوُّ العربي المتفق عليه يقول: إنها صواب؛ لأن المعنى هنا: اذهب لكي تستريح ..."، نقول: **وإذا كان المعنى: اذهب لكي تستريحَ ، فتستريح منصوبة لا مرفوعة، كأن "العقاد" لا يعرف إلى الآن أن "كي" تنصب المضارع ، كما لا يَعرف أنه لا يُقال "ضم تستريح"؛ فإن الضمّ لا يكون إلا في المبنيَّات، و" تستريح" فعل مُعرب؛ فالوجْه أن يُقال فيه الرفع لا الضم**"[٤] .

---

(١) ديوان الشريف الرضي، ج١، ص ٦٧، دار صادر، بيروت ، ١٩٦١م .

(٢) البلاغ ، الحلقة (٢) ، المقالات المجهولة للرافعي، ج٢، ص٣٦ ، ٣٧.

(٣) البلاغ، (٣)، المقالات المجهولة ، ص ٦٠ .

(٤) البلاغ ، الحلقة (٣)، المقالات المجهولة ،ج٢، ص٥٧.

وبِغضِّ النّظر عن وجهة نظر الأستاذ "العقاد" وتأويله، فإن المُهِمَّ – هنا– قدْرة "الرافعي" على الإفادة من القواعد النحوية التي بنَى عليها حُكْمَه، والتي يرى أنها لا تقبل جَدَلًا أو إنكارًا ؛ ليخدم المضمون المباشر لحُججه، ويستطيع مُحاصَرة من يُنافسه في حَلَبَة النِّزال، وذلك من خلال أقوال المخاطَب، وهو ما يكون–أحيانًا– أَبْلغ في الإقناع من "الاحتجاج التوجيهي"، حيث إن التوجيهي يكتفي–في الغالب– بأقواله دون حضور وجهة النظر الأخرى، بينما "التقويمي" يستدعيها، ويرد عليها، ويفندها، ويدحضها، مفيدًا من الآليات الحجاجية التي تؤيده وتُعضِّدُه ، والتي يريد أن يثبت فيها أن شِعْر "العقاد" الذي قال عنه "وإنه ليقابل في أيامنا هذه ما كان عندنا قديمًا من شِعْر الفقهاء الذي لا يراد به دقة المسلك إلى النَّفْس، ولا لطف المأخذ من اللغة، ولا إصابة الفصل من المعنى ، ولا حكاية الطبيعة في صناعة فكرية جميلة ولا بثّ إشراق النفس الروحانية في تركيب المادة ، وإنما هو نظْمٌ بحتٌ مستجلب متكلف ..."[1].

وتأسيسًا على ما سبق؛ فإن "الرافعي" حاول في مقالاته "وحي الأربعين" تضييق الخناق على "العقاد"، وعدم ترك فرصة له للدفاع عن نفسه، من أجل الفوز في معركته النقدية، فأفاد من أنواع الحِجَاج، سواءً أكان تجريديًّا مثل ما يفعل أهلُ الجدَل، أم توجيهيًّا حرص فيه على سرد حُجَجه في متواليات لا تتوقَّف، ولا تراعى دفاع خصمه، أم تقويميًّا يتنبَّأ فيه بالاعتراضات المُحتمَلة، فيرد عليها، نَطَق بها الآخَرُ، أمْ لا، وذلك عبر آليات حجاجية، لُغوية، وبلاغية ، ومنطقية... كما سيأتي– إن شاء الله– في المبحث الثاني .

(١) البلاغ ، الحلقة (١) ، المقالات المجهولة ،ج٢، ص ٢٧.

المبحث الثاني

آليات الخطاب الحجاجي في مقالات "وحي الأربعين"

عمد "الرافعي" في مناظراته ومعاركه النقدية إلى تهذيب لغته وَكَدِّ ذهنه، والتريُّث في إعداد المقال ليصدر في أبهى صُورةٍ، وأجمل حُلَّة، فكانت فكرة المقال تخْتمر في ذهنه ليالي وأيامًا، حيث كان يُجهد نفْسه في كل مراحله، منذ بدايته حتى الصياغة الأخيرة ، فلا يخرج إلا بعد أن يستوي على سُوقه؛ فيغيظ به الخصوم والأنداد؛ إذ المقالة عنده ليست " فكرة ومعنى وعاطفة فحسب، بل- إضافة إلى ذلك- فنًا وأسلوبًا وصناعة" (١)؛ فلا غَرْو أن نجد في خطابه الحجاجي في مقالاته عمومًا، وبخاصة في مقالات" وحي الأربعين" خطابًا حجاجيًّا مليئًا بالآليات والروابط والأساليب التي تجعله – في نظره على الأقل- ظاهرًا على خصمه بلا منازع .

ولذلك يفيد الخطاب الحجاجي من الأساليب اللغوية وغير اللغوية ،لأنه يختلف عن غيره من الخطابات ؛ لأنه ينتمي إلى" المقال النزالي"(٢)، الذي يتجاوز – في بعض الأحيان- النقد الموضوعي إلى التجريح في حدة وانفعال؛ فهو إما أن يَهدم فكرًا، أو يَبني قناعة، أو يُبطل رأيًّا، أو يَنصُر اعتقادًا، كل هذه الأهداف -وغيرها- تتطلب الإفادة من طاقات اللغة ومستوياتها المختلفة

وتنقسم هذه الآليات لآليات لُغوية، تشمل الأدوات والأساليب والروابط الحِجَاجيَّة... التي آثرَها الكاتب، ثم الآليات البلاغية التي جاءتْ مناسِبة للمَقَام والسِّياق، ثم تأتي الآليات شبْه المنطقيَّة والسَّلالِم الحِجَاجيَّة، والتي يفيد منها الكاتب في حِصَار الطَّرفِ الآخَر في مُحاوَرته الحِجَاجيَّة .

---

(١) حياة الرافعي، أ. محمد سعيد العريان، ص٢٢٢، المكتبة التجارية الكبرى، مصر، ط.٣، ١٣٧٥هـ- ١٩٥٥م.

(٢) ينظر: فن المقال في الأدب المصري الحديث ، د. أحمد حنطور، ص٩٥، مكتبة الآداب ، القاهرة ، ط.٢، ٢٠٠٨م .

المطلب الأول

من الآليات اللغوية

من المعلوم أن من أهداف الحِجَاج : إقناع الخصوم والسعي إلى الغَلَبة في الحوار، ولذلك يعمل المنشئ على انتخاب بعض الأدوات اللغوية التي يرى أنها تُعينه على ذلك؛ إذ إن قصديَّة المرسِل لها دورٌ في التداولية، وذلك لأن "للفعل الكلامي وظائف تداولية مرتبطة بقصد المُخاطَب، من أهمها وظيفته الحجاجية التي تزيد من فاعليته الإنجازية، ولا سيما المرتبطة بوظيفتي: التأثير والإقناع"(١) ؛ فالعلاقة بين طرفي الحوار وأدوات اللغوية ووظائفها من الارتباط بمكانٍ يصعب الفصل بينهما .

أولًا: دلالة الكلمة المُعجميّة

آثر "الرافعي" في خطابه دوالًّا تختزل في باطنها عددًا كبيرًا من المعاني، فيعمل السياق على تحديد ما تقصده الذَّات الناطقة من خلال مؤشراتها الدلالية، فيتم التناغم بين المفردات المعجمية والبنية التركيبة، فيستعين بها المستدِل/ المتكلم على الظهور والغَلَبة، فينتفي اللبس الدلالي – حسب تعبير صاحب اللسان والميزان(٢).

ولذلك وردتْ بكثرة في "**وحي الأربعين**" الكلمات الدائرة في فَلَكِ الجهل والكذب والسرقة، والتي تسيطر على فضاء الخطاب؛ ليصنع المنشئ منها سبيكةً متكاملةً تُشكِّل خطابَه وهجاءه ونقده اللاذع، ومن هذه الدوال التي تسير في هذا السلك: (الزَّندقة، الحُثالة، الكذب، الجهل، مستنقع ، تخليط، الاضطراب، الاستلاب، الاغتصاب، رديء، التلفيق، الاستغلاق...)، وهذا هو دَيْدن "الرافعي" عمومًا، وفي مقالاته هذه على وجه الخصوص، فقد كان حريصًا على أن "يَجمع اللفظة إلى أختها بما يجانسها ويلائمها، إما في

(١) ينظر: اللسان والميزان، ص ٢٦٠.

(٢) السابق، ص ١٣٧.

جرْسها وإما في حروفها، بالإضافة إلى الصَّقل والتهذيب ، ولا يزال يُقلِّبُها ويُنسِّقُها؛ حتى تخرج رصينة " [١] .

كما عمل "الرافعي" على أن يجعل للمفردة وَقْعًا معنويًّا ينضاف لوضْعها المُعجمي، فيأتي بدوالٍ يُخرجها من أصل استعمالها إلى معانٍ أخرى يقتضيها السياق، ومن ذلك كلمة " **المِسكين** في قوله: " **قال المسكين... ولكنَّ المِسكين ليس له من الصَّبر على المناظرة...**" [٢]، فتأتي متضمنة معاني السخرية والازدراء؛ إذ إن المسكين–هنا– ليست دالة على رافدها المعجمي، بل أفادت في سياقها الاستعمالي/ التداولي معاني التجهيل والفقر العلمي، والخواء النقدي الذي يصفه بها صاحبُ الحُجَّة، وهو ما يدركه المخاطَب– أيضًا– فتلتقي قصْدية المتحاوِرَين في آنٍ واحد ، وهذا من ثمار التداولية .

ومن ذلك – أيضًا– استعارته للمفردة "**بُنَيّ**"، وهي في أصل استعمالها تدل على الرحمة والشَّفقة، والنُّصح في تلطُّف، إلا أن "الرافعي" أتى بها في فضاء الخطاب، لتُمَكِّنه من سُلطةٍ معنوية يعلو بها على خصمه، فقد كررها في مقالٍ واحد أكثر من ست مرات[٣]، يقول: "**واعلم يا بُنَيَّ أن كلمة... ثم إنه يا بُنَيَّ يحسن بك... ولأفسر لك يا بُنَيَّ... ومعلوم يا بُنَيَّ أن... ولكن هل حبيبك يا بُنَيَّ... ولكن الصحيح يا بُنَيَّ...**"؛ ليفيد من رافدها الاستعمالي في غرضه الرئيس الذي ينشده، وهو انتصاره في محاورته الجدلية القائمة، يقابل ذلك الدوال الصريحة المُحمَّلة بدلالات الحجاج والبرهان التي تمتاز بخصائص معجمية وتداولية وسياقية فنجد عنده: (الاعتقاد، اليقين، البراهين، الدليل، الاستنباط، الحُجَّة...) ومشتقاتها التي تنبض بقوة الحجج ونصاعة الاستدلال ؛ ذلك أن المعنى يتحقق من خلال اللغة المتداولة بين المرسل

(١) نشر مصطفى صادق الرافعي، محمد ضيف الله، ص٣١١، دار ومكتبة الشركة الجزائرية، ١٩٦٨م .

(٢) البلاغ، الحلقة (٣)، المقالات المجهولة ،ج٢، ص٥٩.

(٣) البلاغ السابق ، المقالات المجهولة،ج٢، ص٦٠، ٦١.

والمستقبل ومن خلال السياق الذي يُوجِّه الحديث نحو المضامين والدلالات المقصودة .

كما أفاد "الرافعي" من آلية "الاقتضاء" التي تَعْمل على جعل غير المنطوق منطوقًا لتصحيح المنطوق؛ " للدلالة عليه وإبرازه وإبانته ، فعندما يحكم الرافعي على بعض شِعر العقاد بأن فيه "**سَرِقة محليَّة**"(١)، فإن ذلك قد يقتضي سرقات أخرى عالمية غيرها– وهو ما صرح به الرافعي – في مقالاته هذه– أكثر من مرة ، في غير هذا السياق، كما أنه كرر المفردة "**سَرَق**" وما يرادفها في مقالٍ واحدٍ أكثر من ثلاث مرات؛ في إلحاحٍ منه؛ ليدلل على أن "العقاد" كان كثير السَّطْو، حسب رأيه.

كما كان يَعْدل عن التصريح باسم العقاد، باسم الإشارة تارة أو تذكيره بالديوان الذي يرفضه وينقضه، فيقول "صاحب الوحي" ، وقد وضع "الوحي" بين قوسين ؛ تعريضًا وسخرية ، يقول: " **أما الزندقة والجهل معًا ثم يكون نظمها شعرًا؛ فهذا لا نعرف مثله إلا لصاحب(الوحْي)...**" (٢)، وهو ما يفيد في معرض الحجاج والمناظرة ، مع أن نسبة الديوان إلى صاحبه، واتصافه به، قد يكون مفيدًا في المدح أو الذم ، لكن السياق هو ما يُحدد ذلك –غالبًا– وديوان العقاد "وحي الأربعين" بات– في نظر الرافعي– مما يُعار به ويُذم ؛ فآثر الوصفَ على العلَم، ومما يعضِّد ذلك، أنه آثر أن يقول:"**اللغة العقاديَّة**" (٣)، بدلًا من لغة العقَّاد؛ كونه أَطلق على كل لغة لا يَـقْبلُها: لغة عقادية ، وكأنها باتت عَلَمًا عليه !

وغيرها من النماذج التي تكشف عن إفادة "الرافعي" من الدّوال، وما تتضمنه من دلالات ، حسب ما يتطلبه سياق الخطاب، والذي ظهرت فيه

(١) البلاغ ، الحلقة (٢)، المقالات المجهولة ،ج٢، ص ٤٤.

(٢) البلاغ ، الحلقة (١) ، المقالات المجهولة، ج٢، ص ٢٣.

(٣) البلاغ ، الحلقة (٢) ، المقالات المجهولة،ج٢ ، ص ٣٣.

الكفاءة التداولية، التي تنسحب بالضرورة على المتلقي، وقد حرص المُنشئ أن تصل رسالته وحُجَجَه إليه كاملةً غير منقوصة .

ثانيًا : أبرز الأساليب النحوية وأغراضها التواصلية

آثر الرافعي– في إطار حِجَاجه– كثيرًا من الأساليب النحوية، للإفادة من أقصى طاقات اللغة الصريحة والضمنية، وتكون عاملًا رئيسًا في بناء براهينه التي تستمد مظهرها الحجاجي من دلالة وجود هذه الأدوات– وغيرها– وما تومئ إليه في المناظرة الآنية، ومن أبرز هذه الأدوات التي جاء كثيرةً خطابه: (الفِعْل التوكيدي ، والرَّوابِط الحِجَاجيَّة، التناص اللغوي).

١ – الفِعْل التوكيديّ

الكلام في بعض الدراسات الحديثة نوعان: حَدَثٌ تواصلي، وفِعْلٌ كلامي، والحدث الكلامي مجموعة من الأفعال الكلامية التي تتطلب مرسِل، ومستقبِل، ورسالة، وقناة اتصال، وشفرة وموقف... ويقوم الفعل الكلامي على "الوحدات الصغرى التي تُشكِّل الحدَث، وهو ما تُحقق به اللغة فعلًا بعينه، كالأمر والطلب والتصريح والوعد..."[(١)]، ومِن أبرز هذه الأساليب التي أفاد منها الرافعي: التوكيد؛ وذلك من أجل أبعاده التداولية وأغراضه التواصيلة، وهذا الفعل التوكيدي له صيغتان(مفرد، ومركّب) [(٢)]، وبيانهما كالتالي:

---

(١) ينظر: المصطلحات المفاتيح، دومينيك مانغونو، ص٧، ترجمة: محمد يحياتن، الدار العربية للعلوم ناشرون، الجزائر، ط.١، ٢٠٠٨م ينظر– أيضًا– الاتجاهات الحديثة في عِلْم الأساليب وتحليل الخطاب، د. على عزت، ص٥٠،٥١، شركة أبو الهول للنشر، القاهرة ، ط.١، ١٩٩٦م .

(٢) ينظر: التداولية عند العلماء العرب، د. مسعود صحراوي، ص ٢٠٨، دار الطليعة، بيروت، ط. ١، ٢٠٠٥م .

أولًا: التوكيد المفرَد .

العلاقة بين المبنَى والمعنى في اللغة قائمة؛ إذ إن منشئ الخطاب يسعى لأن تكون لغته لغةً وظيفيَّة؛ حتى يوافِق الملفوظ قصديّة المتكلم، وتراعي– في الوقت ذاته– حال المخاطَب، ومن هذه الأدوات التي تعينه على ذلك أدوات التوكيد المفرد، وهو ما يعرف عند النحاة بالتوكيد اللفظي، والتوكيد المعنوي .

وقد أفاد صاحب "وحي الأربعين" من التوكيد بأنواعه المختلفة، فمن اللفظي قوله عن العقاد : "**وما دامت رُوح شِعْره هي هي...**"[(١)]، وقولُه ، "**والقُبلة القُبلة، قُبلة العقاد ...**" [(٢)]، والمعلوم أن التوكيد اللفظي يأتي به المنشئ ؛ طَمعًا منه في تأكيد المعاني التي يرنو إليها، غير أن "الرافعي" لم يحفل كثيرًا بهذا النوع، وجَعل احتفاءه بالتوكيد المعنوي؛ إذ إن تكرار اللفظة عينها تكون–غالبًا– للغافل، الذي لا يُدرك ما يرمِي إليه المُرسِل، وغلبَه نسيانُ أوّلِ الكلام، فمن المُمكن أن يكون "الرافعي" قد أدركَ في قرارة نفْسه أن "العقاد" على عِلْمٍ وفِكْرٍ وثقافة، فلم يحتجْ إلى مثل هذا الأسلوب، وجعل اهتمامه للتوكيد المعنوي، "حيث أثبتت التَّجربة أنَّ اللُّغة ليست دائمًا شفّافة وواضحة، إنَّما قد تستخدم أداة إخفاء وتضمين ، ولاسيما فيما يتعلَّق بما يمكن أن يُحاسَب عليه الإنسان " [(٣)] .

ولهذا كان التوكيد المعنوي أكثر ورودًا عند التصريح باسم" العقاد"، فكان يقول: "**العقاد نفْسه**"؛ تقريرًا وتوكيدا؛ إذ إن من أسباب التوكيد بالنفس

---

(١) البلاغ ، الحلقة (١) ، المقالات المجهولة،ج٢، ص ٢٥.

(٢) البلاغ ، الحلقة (٣) ، المقالات المجهولة،ج٢، ص ٦١.

(٣) نظرية التواصل– المفهوم والمصطلح، د. رضوان القضماني، أسامة العكش، مجلة جامعة تشرين للدراسات والبحوث العلمية– سوريا، سلسلة الآداب والعلوم الإنسانية المجلد (٢٩) العدد (١)٢٠٠٧، ص١٤١.

وما يشبهها هو "رفْع المجاز عن الذّات" [١]، ومن ذلك قوله: "**ما دام العقاد نفسُه...**" [٢]، "**أمْ من البراهين عند العقاد نفسِه...**، وفي تهكُّمِه على صاحب ديوان "الوحْي"، يقول: "**والشيطانُ نفسُه لو كان شاعرًا، واستمدَّ من طبْعه؛ لمَا قال أحسن من هذا...**"[٣] .

ولا يخفَى أن الاتّكاء على مِثل هذه الأدوات يُفيد في استراتيجية المنشئ، الذي يَطمع في إقامة الحُجَّة على صاحبه، وإزالة احتمالات الشكّ، ولذلك أفاد من الألفاظ التي تفيد العموم، وتَرفعُ وهْمَ التخصيص، والسَّعي إلى معاني الإحاطة والشمول؛ وذلك من خلال الألفاظ التي تفيد ذلك، وأهمُّها "كُل"، فيقول في مقدمة الحلقة الثالثة من مقالاته: "**ويَعرف الأدباء الذين قرأوا كتابِي "تحت راية القرآن" أنه ليس في العالَم كُلِّه نسخة أخرى مثلها...**"[٤]، ويَحُكم على شِعْر العقاد بالضَّعف، الذي يجعله لا يستطيع مواجهة ناقد، فيقول: " **فأنتَ تستطيع أن تُفسده كلَّه بأيسِر الكلام**" [٥]، ويُنكِر عليه بأن ديوانه أقرب إلى الفِكر والصحافة وكتابة المقالات منه إلى الشِّعر، فيقول: " **وكان يَحسُن بالعقاد إذا نقَل مذهبًا إلى شِعْره أن يَنقل المذاهب كلَّها ما دام نشْرًا...**" [٦] .

ومن اللافت للنَّظر أن "الرافعي" لم يستخدم "العيْن" سوى مرة واحدة بغرض التوكيد المعنوي في هذه المقالات بقوله عن الشِّعر:" **فإن أجمل الشِّعر**

---

(١) بناء الجملة العربية، د. محمد حماسة عبد اللطيف، ص ١٨٤، دار غريب للطباعة والنشر، القاهرة، ٢٠٠٣م .

(٢) الحلقة (٣) ، المقالات المجهولة، ج٢، ص٦٣.

(٣) الحلقة (٢) ، المقالات المجهولة، ج٢، ص ٤٩.

(٤) البلاغ ، الحلقة (٣) ، المقالات المجهولة، ج٢، ص ٥١.

(٥) السابق، الحلقة (١) ، المقالات المجهولة، ج٢، ص ٢٦.

(٦) السابق، الحلقة (١) ، المقالات المجهولة،ج٢، ص ٢٥.

وأبدعه وأدقه في الصناعة البيانية لا يمكن شرحه إلا بألفاظه بعيْنها..." [١]؛ وذلك لأن النَّفْس هي الأصل والحقيقة، والعيْن متفرّعةٌ عنها، وتُستخدم عن الذات مجازًا، مع أنهما يدلان- في الاستعمال اللغوي- للتعبير عن أصل الشيء وحقيقته، ولم يستخدم- كذلك- لفظة "جميع" ؛ لأن (كل) " تفيد الإحاطة حيث وقعت وكيفما كانت، وليست كذلك (جميع)" [٢].

وعلى أيِّ حال، فإن "الرافعي" حاول الإفادة من هذه الألفاظ؛ للوفاء بمراده، وتحقيق ما يرجوه من تأكيد المضامين، وإزالة الالتباس؛ وذلك لعِلْمه أن التوكيد -عمومًا- يؤثّر إيجابًا في بناء خطابه الذي يتطلّب تثبيت المعنى وتمكينه، فالإنكارُ طاغٍ على حال خصمه، فتحتاج الحُجَّة إلى ما يقوّيها ويُعضدِّها، إما بتكرار المفردة، أو بأدوات التوكيد التي تطرأ على الجُملة .

٢- التوكيد المركّب

ثمة صيغٌ لغوية لجأ إليها "الرافعي"؛ بهدف تأكيد الحجج وتوثيقها ، فمنها المفرد كما سبق ذِكْره ، ومنها المُركَّب، وهي التي" تتألّفُ من تركيبٍ لغوي تؤدِّيه كلماتٌ متعددة ، تتضافر على إنجاز معنى التأكيد"[٣]، ومن أكثر هذه الأساليب في هذه المقالات: أسلوب القَسَم، وذلك لما يحتوي عليه من دلالات لغويَّةٍ ومعنويةٍ، فيؤكِّد جواب قَسَمِه، وينفي عن أحكامه الشكّ والإيهام، حيث إن التأكيد على الادّعاءات والاستدلالات من خصائص النصِّ المُوجَّه لخَصْمٍ أو لغريمٍ مناوئ، فيُؤثِر المنشئ أسلوب القَسَم الذي عدّه النحاةُ توكيدًا، كما قال صاحب "الكِتَاب" أيضًا- "واعلم أنَّ القَسَم توكيدٌ لكلامِك" [٤]، ومن المعلوم أن القَسَم لا يكون- غالبًا- إلا

(١) البلاغ، الحلقة (٢)، المقالات المجهولة ،ج٢، ص٤٢.

(٢) معاني النحو، د. فاضل السامرائي، ج٤، ص٥٢٣، جامعة بغداد ، ١٩٩٠م .

(٣) التداولية عند العلماء العرب، ص ٢١٠، ٢١١ .

(٤) الكتاب، سيبويه، ج٣، ص ١٠٤، تحقيق الأستاذ: عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة ، ١٩٩٢م.

للمُنكِر، وبه يريد "الرافعي" أن يقطع قولُه كلَّ قولٍ ، ويفوز في معركته النقديَّة .

ومن ذلك قوله الرافعي عن العقاد:" **واللهِ إنه ليهلك في صفحة واحدة؛ لو أراد أن يُعارِض صفحةً مما نكتبه...**"[١]، وذلك بعد أن اتهمه العقاد بأنه يسرق منه، وقد أكَّد "الرافعي" جملته –هذه– بالقَسم والجُملة الاسمية والفعل المؤكَّد؛ ليدفع إيهام أن كلامه يَفتقدُ الصدق، أو يحتاج لثمّة دليل؛ فيتحدَّاه بالقسَم والتوكيد ، ثم إنه ليستبعد نجاحه وفَلَاحه .

كما أنه أراد الاعتراض بالقَسَم ويذكر الاسم الكريم؛ توكيدًا، إذ " المحلوف به مؤكَّد به الحديث" [٢]، وليكون سبيله إلى تقرير معانٍ قد لا تؤدَّى بدونه، كما أنه من فوائد الاعتراض: " أنه يَجري مجرَى التوكيد" [٣]، فيقول: "**وما ندري– والله– كيف يُفلح مثل هذا الرجل**" [٤]، ولا يخفَى ما يفيده ضمير الجَمْع الذي يُنثَر في فضاء النصِّ أمارات الافتخار والتعظيم للذّات المتكلِّمة .

وهذا التوكيد بالقسَم – والذي يتّكئ عليه الرافعي– لهُو مراعاة لحال المتلقي الذي لن يُسلِّم – غالبًا– بما جاء في ادّعاءات واتهامات المرسِل، وهو ما أفاد منه في موطنٍ آخر، يقول: "**لعمري كيف يفلح مثل هذا الطائش...**"[٥]، أو يستخدم لفظ القَسَم، فيقول: "**وكلمتي الأخيرة للعقاد:" إني أُقسم له أنه أضحكني اليوم بكتابته...**" [٦]، وهذا قَسَمٌ ممزوجٌ بالسخرية من كلامه وحُجَجِه التي دافع بها عن نفْسه بين يدي الرافعي.

---

(١) البلاغ ، الحلقة (٣)، المقالات المجهولة ،ج٢، ص ٥٣.

(٢) الكتاب، سيبويه، ج٣، ص ٤٩٧.

(٣) المثل السائر، ج٢ص١٧٣.

(٤) البلاغ ، الحلقة (٤)، المقالات المجهولة،ج٢ ، ص ٦٧.

(٥) البلاغ ، السابق، المقالات المجهولة،ج٢، ص ٦٩.

(٦) البلاغ ، السابق، المقالات المجهولة،ج٢، ص٧٢.

ومن الصيغ المركبة– والتي أفاد منها الرافعي أيضًا– أدوات التوكيد، وأبرزها التأكيد بـ " إن"، و"قد"؛ وذلك لتحقيق هدفه في تبرير وجهة نظره، وإثبات حقيقة ادّعاءاته ، بيد أن التأكيد بـ "**إنَّ**" قد حاز قصب السبق؛ إذ إنها مِن أشهر أدوات التوكيد، فهي تثبِّت وتؤكد المعنى الذي يأتي بعدها، والذي ينكره خصمه، ومن ذلك قوله: " **إنَّ العقاد نفسَه هو الذي أعطانا هذا المعنى...**" [١]، وقد أفاد من التوكيد الذي أفادته الأداة "إنَّ"، والتوكيد المعنوي (نفسه) الذي لحق بها؛ ليُزيد من سياق التوكيد الذي يصنعه ، وهو يُنكر على "العقاد" محاولاته الذَّود عن نفسه، فيقول: " **إنَّ** "**العقاد**" **إنما يريد بهذا الزَّعم أن يُشرِّف نفْسَه...**"[٢]، أو يفيد منها في الحُكم على نتاج "العقاد"، حُكْمًا لا ريب فيه ولا مِرَاء، فيقول:" **إنَّ غاية الغايات في إحسان الظَنِّ بأدب العقَّاد أن تقول: إن في هذا البيت غلطة مطْبعيَّة...**" [٣] .

وهذه الأدوات لم تكن حشوًا في الكلام ، بل تتناغم مع غيرها من الأدوات الأخرى؛ لتُسهم في نجاح الموقِف الاتصاليِّ القائم ، وتعمق المعنى وتؤكده ، وتعمل على نموه واتساعه، وتكشف كفاءة الخطاب اللغوية ، وهذه " الكفاية اللغوية" [٤]، والتي تعني– ضمْن ما تعني – قدرة المتكلم على استعمال اللغة ، ويكون هذا الاستعمال متفقًا والقواعد التي عرفها العرب .

أما" **قد**" التي تفيد التحقيق، فكان لها دورٌ في التوكيد الذي سعى له "الرافعي"، فهو يريد أن يُثبت سرقة العقاد، فيستدل بمن يشاطره هذه الحُجَّة،

---

(١) البلاغ ، الحلقة (١)، المقالات المجهولة،ج٢ ، ص ٢١..

(٢) البلاغ ، الحلقة (٤) ، المقالات المجهولة ،ج٢، ص ٥٤.

(٣) البلاغ ، الحلقة (٢) ، المقالات المجهولة،ج٢ ، ص ٣٩.

(٤) ينظر: النص والخطاب والاتصال، د. محمد العبد، ص ٤٩، الأكاديمية الحديثة للكتاب الجامعي، ط.١، القاهرة، ٢٠٠٥م، ينظر– أيضًا– الاتجاهات الحديثة في علم الأساليب وتحليل الخطاب، ص٥٠،٥١.

فيذهب إلى "**مجلة أبو لو**" [١] ؛ وشهادتها في هذا المجال لها اعتبار، فيقول: "**وقد نبَّهتْ مجلة "أبو لو" علَى أن قصيدة "غَزَلٌ فلسفيٌّ" مأخوذة من قصيدة شلي (إبيسكديون)، كما نبَّهتْ على سرقاتٍ أُخرى للعقاد من الشِّعر الانجليزي**"[٢]، كما أنكرَ تشبيه العقاد للهَجْرَ بالموت، وهي- حسبما يُقرِّر- صورة مبتذلة، لا جديد فيها ولا حياة، فيقول: " **لقد فرغ الشعراء من تشبيه الهجْر بالموت...**"[٣]، ولا يَخفى أن "قد" نقَلتْ ما يعتمل في صدر الكاتب، وأفرغتْ هذه الشُّحنة التي يريد أن تخرج كَمَا هي، متوجهة إلى المخاطَب.

كما كان للمفعول المُطْلق دورٌ في سياق التأكيد الذي أكثر منه الرافعي في حِجَاج العقاد، فيتهمه بأنه وقع تحت تأثير الصحافة؛ فصارت أشعاره "**ملخصة تلخيص الأخبار المحلية ... وأذعن لها إذعان المرء لما اعتاده ...**"[٤]، أو النائب عن المفعول المطلق، كقوله في سياق التهكُّم والتعريض بالعقاد: "**وعلى هذا يكون العقاد سليم الذّوق جِدًّا**" [٥]، أو الحال

---

(١) أدلتْ مجلة "أبولو"- أيضًا- بدلْوِها في هذه المعركة النقدية، فكتب الدكتور "أحمد زكي أبو شادي"، والأستاذ "عبد الحميد شكري" وغيرهما، مقالاتٍ في نقْد "وحي الأربعين" مُنكرِين على "العقاد" عدم تقبُّله للنقد، ومهاجمة كل من يُبدي ملاحظات على ديوانه ، ومن هذه النماذج قول " عبد الحميد شكري في مقالٍ له بعنوان : " نقد وحي الأربعين: " نَقَد الدكتور "أبو شادي" ، على صفحات" أبو لو" شعرَ "العقاد" نقدًا هيّنًا ليِّنًا ، ومع ذلك غضب "العقادُ"، وثارت ثائرته؛ إذ لا يتسع صدره للنقد البريء، ولا الملاحظة، كأنما أُنشئتْ مثل هذه المجلة لتُكيل المدح والتقريظ ... و" العقاد" لو عاش للأدب- فقط- ما خرج على الأرجح مرة عن حدود الأدب، ولكن السياسة – قاتلها الله- أجازت له اللذع والقذع؛ فصار من السَّهل عليه أن ينتقل من مهاجمة الأحزاب إلى مهاجمة الأفراد" . مجلة أبولو، عدد ٧، عدد١ مارس ، ١٩٣٣م .

(٢) البلاغ ، الحلقة (١) ، المقالات المجهولة ،ج٢، ص ٣٢، ٣٣.

(٣) البلاغ ، السابق ، المقالات المجهولة،ج٢ ، ص ٣١.

(٤) السابق، الحلقة (١) المقالات المجهولة،ج٢، ص ٢٥.

(٥) السابق، الحلقة (٣) ، المقالات المجهولة،ج٢ ، ص ٦٣.

المؤكِّدة ، كما في قوله : "**ولكن الشِّعر العربي يعتبر في زماننا بموقِعه من أصْله، ومن شِعر الأمم كافَّة**... "[1]، والتأكيد من الفوائد التي يسعى إليها المفعول المطلق، حيث إنه مصدر؛ جاء لتوكيد الفعل الذي قبْله، و" كافَّة" تفيد الإحاطة والشمول، وهي المعاني التي أراد الكاتب أن يَبُثّها في فضاء خطابه ، ليرفع عنه محاولات التكذيب والتشكيك الواقعة، أو المتوقَّعة .

وغيرها الكثير من الأدوات التي كثُر استخدامها في هذه المقالات؛ باعتبار التوكيد فعلًا كلاميًّا ناجعًا، ووسيلة مهمة اتخذها الرافعي قنطرة للعبور الآمن، وذلك في خضم جداله وحواره النقدي ، الذي يتميز بالحجاج والجدل .

٥ – الروابط والعوامل الحجاجية

وهي أدوات يلجأ إليها المُرسِل؛ ليُرتِّب حُجَجَه وَيَصِل بعضها ببعض، فبها يستطيع بناء خطابه بناءً حجاجيًّا "متضمنا لمجموعة من الإشارات والتعليمات التي تتعلق بطريقة التي يتم بها توجيه القول أو الخطاب" [2]، أو هي كل كلمة تكون رابطة بين أجزاء الكلام وتراكيبه – والرافعي حريصٌ – ضِمْن ما يحرص– على انتقاء تراكيبه وما يربطها من روابط– كحروف العطف وحروف الجر، والروابط التي تفيد السببية، وغيرها من الروابط التي لها دورٌ مباشر في بنْية الخطاب الحجاجي .

والمتأمل يدرك أن الرافعي يعرف ما تفيده هذه الروابط؛ ولذلك وضعها في مكانها المقرر لها وضعًا واستعمالًا، وغايته الرئيسة في ذلك تماسك نصه، وحُسن بنائه ، إذ إن المقصود بالرّبط :"إحكام العلاقة بين أطراف التركيب"[3]، ونظرًا لكثرة هذه الروابط التي أفاد منها الرافعي؛ فسيُكتفى ببعض الروابط التي شاع ورودها في "وحي الأربعين"، ومنها:" **لكن، وبل، ومِنْ ثَمَّ**..."، فقد آثرها

---

(١) السابق، الحلقة (١) ، المقالات المجهولة،ج٢، ص ١٩.

(٢) التحاجُج.. طبيعته ومجالاته، ص ٦٣.

(٣) مقالات في اللغة والأدب ، د. تمام حسان ، ج١، ص ٣٥٧، عالم الكتب، ط. ١، ٢٠٠٦م .

الكاتب؛ ليفيد من دلالاتها وأثرها في الخطاب، إذ إن معاني الأدوات وظيفية، ومعرفة معانيها ودلالتها تُمكِّن المتكلم من الاختيار المناسب ، ومن ذلك قوله ردًّا على بيت العقاد : (الرمل)

والذي أرهبه وا أسفاه هجرك المدعوُّ بالموت الزؤام[١]

يُنكر "الرافعي" على "العقاد" نظْم البيت، فقد أخلَّ– في نظر الرافعي– بدلالة الألفاظ، كما في المفردة "**المدعو**" التي لا تأتي إلَّا للأحياء، كما يُنكر تشبيهه الهجْر بالموت، فيقول ساخرًا:" **فليس في بيت** "**العقاد**" **معنى له، لكنْ فيه ذوقه اللغوي...**"[٢]، وقد أفاد الكاتب من استخدامات "**لكن**"، ليُثبت الحُكم الذي يريده بعدها، وهو ذمُّ ذَوْق "العقاد" اللغوي، فيمنح الحُجَّةَ التي يدعيها طاقةً أكبر، وبخاصة بعد أن أثبت حُكمًا إيجابيًّا بعد نفي .

ومع أن هذه الأدوات لها معنى يقصده المنشئ إلا أنها –في الوقت ذاته– تعمل على توثيق العلائق بين التراكيب المتجاورة ، والدوال المتوالية ، إذ الوصل" تحديد الطريقة التي يترابط بها اللاحق بالسابق ، بشكلٍ مُنظَّم"[٣]، ففي معرض تهكُّم "الرافعي" على "العقاد" آثر الأداة " بل"، فيقول: "**فَفِكْرُه ليس فكرًا في رأسه، بل في رأسِ المنقول عنه، ومن ثَمَّ مَرِن على السرقة**"[٤]، وفيه يلحُّ الرافعي على فكرة سطْو "العقاد" على نتاج الآخرين، فيفيد من الروابط المُدْرِجة للحُجَج، والتي تمنحه هذا الحُكم في حُجَّةٍ قوية تمنع الخَصم من الإنكار أو التفلُّت، وفيه يقرر الحُكْم الأول الذي قبل "بل"، بِضِدِّه الذي أتى بعدها، ثم يأتي ب"**مِنْ ثَمَّ**"، التي تُعَد من الروابط المُدْرِجة للنتائج التي تقرر

(١) ديوان " وحي الأربعين" للعقاد، ص ٥٤.

(٢) البلاغ ، الحلقة (٢) ، المقالات المجهولة،ج٢ ، ص ٣١.

(٣) لسانيات النص – مدخل الى انسجام الخطاب ، د. محمد خطابي، ص١٢، المركز الثقافي العربي، ط. ١، ١٩٩١م .

(٤) البلاغ ، الحلقة (٣)، المقالات المجهولة،ج٢، ص٥٦.

الحُكْم النهائي الذي يسعى إليه المُنشئ ، وهي قدرته على السرقة من غير تكلُّف، فقد صارت– كما يزعم الكاتب– طبْعًا وسجيّة!

ولألفاظ التعليل فوائد حجاجية، سعى إليها صاحب هذه المقالات؛ وذلك ليربط بين السبب والنتيجة ، فيُعلل حُكْمه، ويُفسِّر قولَه، ويبين عِلَلَ أُطروحته، ولهذا لجأ "الرافعي" إليها، فأفاد من(**إذ، وكي ، واللام، ولأن...**)؛ لكنه اطَّرد عنده استخدام الأداة "**إذ**"؛ ليبرر ما ذهب إليه، ومن ذلك ما ردَّ به على "العقاد" في استعماله التفضيل من "خَلَد"، فيقول:" **ولكن أخلد الخالدين بَيِّنةُ الغلط؛ إذ لا يأتي التفضيل إلا من فعل يقبل التفاوت؛ حتى يكون شيء أفضل من شيء...**" [١]، ومنه قوله –أيضًا –في ذَمِّ "العقاد" وأسلوبِه :" **والعقاد لا يتهيأ في طبْعِه من الفلسفة كالذي يتهيَّأ في طِباع الشعراء الملهمين ؛ إذْ لا نجد في استطاعته أن يقتسر الإلهام، وهو ليس بصناعة**"[٢].

وللأدوات الأخرى حضورٌ في إفادة التعليل، لكن بصورة أقل من "**إذ**"، كاللام مثلًا، فنجده يقول في موازنة بين" ابن الرومي" و" العقاد":"**وتأمَّلْ كيف تهكَّم "ابنُ الرومي" في مِثْل هذا المعنى؛ لتدرك الفرق بين الشَّاعر ومن يُقلِّد الشَّاعر**" [٣]، يربط "الرافعي" العلَّة بالمعلُول، والسبب بالنتيجة؛ ليجعل خطابَه متماسكًا غير مُتشعِّب، كما يأتي بها للسخرية من أدب "العقاد" فيقول عن محاولاته الشعريّة:" **وأغرق في المحاولة؛ ليغرق مثل ذلك في الخيبة... وقدَّم لنا شِعْره على أنه التجديد والعبقرية ، وأنَّه وأنَّه ...**" [٤] .

ولربط السبب بالنتيجة فوائد حجاجية يسعى إليها المرسِل؛ كي يُعلل حُكْمه، ويُفسِّرَ قولَه ، ويبين عِلَلَ أُطروحته، ولهذا لجأ الرافعي إليها، فأفاد من (إذ، وكي ، واللام، ولأن...) ؛ لكنه اطَّرد عنده استخدام الأداة " **إذ**" ، وهي

(١) البلاغ ، الحلقة (٢) ، المقالات المجهولة ، ج٢، ص ٣٥.

(٢) السابق، ص ٤١.

(٣) البلاغ ، السابق، المقالات المجهولة، ج٢، ص ٤٧.

(٤) البلاغ ، الحلقة (١) المقالات المجهولة،ج٢ ، ص ٢١.

من أدوات التعليل [١]، فيفيد منها؛ ليبرر ما ذهب إليه ومن ذلك ما ردَّ به على "العقاد" في استعماله التفضيل من "خَلَد"، فيقول:" **ولكن أخلد الخالدين بَيِّنَةُ الغلط ؛ إذ لا يأتي التفضيل إلا من فعلٍ يَقْبلُ التفاوت؛ حتى يكون شيء أفضل من شيء ...**" [٢] .

ويظهر من خلال النماذج السابقة حرص صاحبها على وصل السبب بالنتيجة، وذلك ليعمل على نجاح معيار المقبوليّة؛ فمن خلال هذا الوصل السببي يمكن إدراك " العلاقة المنطقية بين الجُمل " [٣] ، والتي تشكل البنية الكُليّة للخِطَاب .

كما أفاد "الرافعي" مما يُسمى" **تداوليّة الدلالة**"، وذلك في استهلال سلسلة المقالات بقوله:" **قال شيخُنا "الجاحظ" في بعض كلامه: إن سخيف الألفاظ مُشاكِلٌ لسخيف المعاني ، وقد يحتاج إلى السَّخيف في بعض المواضع...**"، ففي هذا السرد يريد الكاتب امتلاك سُلْطةٍ في المحاوَرة؛ ليصبح أعلَى رتبةً، وذلك لما يمتلكه هذا العَلَم (الجاحظ) الذي اقتبس جزءًا من خِطابه، في رافد الاستعمال الذي ينبغي لكل مَن يَسمع اسم القائل وقولِه، أن ينصت ويستجيب؛ اطمئنانًا منه أنه يلقى التقدير – أيضًا– من المرسل إليه.

وقد أفاد –كذلك – من آلية " **الاستغراق باللغة أو الذات**"، محاولًا إضافة أسبابٍ أخرى؛ التي بسببٍ منها يستحوذ على سُلْطة الخطاب، فتصبح الحجة التي يَدْفع بها صحيحة ، وينفي ما دونها من حُجَجٍ قالها المخاطب، أم لم يقلْها بعدُ، فيقطع عليه الطريق ؛ ليُسلِّم بما جاء به ، ومن ذلك ما ورد في

---

(١) ينظر: مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، ابن هشام الأنصاري ،ج١، ص ٩٦، تحقيق الشيخ: محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، بيروت، ١٩٩١م .

(٢) البلاغ ، الحلقة (٢) ، المقالات المجهولة ، ج٢، ص ٣٥.

(٣) ينظر: أثر النحو في تماسك النص، عابد بوهادي، مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية، الجامعة الأردنية ، مجلد ٤٠، عدد١، ٢٠١٣م، ص ٨ .

ثنايا مقالاته:" **ولكن الصَّحيح...**" [١]، وقد أضاف "أل" المستغرقة للجنس؛ ليؤكد على صحّة منطوقه، أو يسبق قولَه اسمُ الإشارة ؛ لينبه على أنه صدق لا ريب فيه، كقوله: "**هذا صدقٌ**"، أو يتّسع في جملته؛ ليبين خطأ من يُجادِل، كقوله: " **فالأمر على خلاف ما يظهر لك**"، أو ليؤكد على نتيجة فيقول: " **فلا جرم كان لذلك أثر في تهكمه...** [٢] ، وغيرها من الروابط التي جعلت معظم خطابه متماسكًا في بنيته الداخلية ، والذي ينسحب على بنيته الكلية ، وهو ما يحاول المنشئ أن يحققه لخطابه الذي يتسم بالجَدل، والقائم على الاستدلال والبرهان.

ثالثًا: التناص اللغوي

حرص "الرافعي" على إثراء مقالاته بالتعالق مع دوالٍّ وتراكيب تحمِل دلالاتٍ ومضامين تُغني خطابه، وتؤثر في المستقبل الذي يُدرِك مراميها، حيث تكمن أهميتها في أنها دوالٌ تراثية، تمنح النص الآني عمقًا واتساعًا، وبخاصة إذا كانت مناسبة للسِّياق ومتفقةً ومضمون الرسالة .

ومن نماذجه في هذه المقالات ما جاء على لسان الرافعي أن كلام العقاد فيه" **وهْمًا وخداعًا وإرهابًا للحشرات الضعيفة، وسحرًا لبُغاثِ الطَّيرِ، ثم ليس معها – بعد ذلك– شرٌّ ولا خير، وليس فيها كبيرُ أمرٍ ولا صغيرِه**"[٣]، وسياق نص "الرافعي" في ذمِّ التبريرات التي قدَّمَها العقاد؛ لإعلان من براءته من التُّهم التي تُوجَّه إليه، لكن الرافعي يعلن– هنا– أن مثل هذه الدفوع لا ترهبه ولم تحرك له ساكنًا، لأنه ليس هشًّا ضعيفًا يتأثر بكل ما يقال مثل الحشرات الضعيفة، ثم أورَد "**بغاث الطير**"؛ كناية عن الضَّعف، فهو بطيء الحركة، ولا مِخلب له يصيد به، وهو ما شاع في استعمالات العرب للقدح

(١) ينظر على سبيل المثال: الحلقة الثالثة في البلاغ، المقالات المجهولة ج٢، ص ٦١.
(٢) البلاغ ، الحلقة (٤)، المقالات المجهولة ج٢، ص ٦٨ .
(٣) البلاغ ، الحلقة (٣)، المقالات المجهولة ج٢، ص ٥١ .

والتعيير، بخلاف الصَّقر الذي يطير ويصيد ويفيد، يقول الشَّاعر "عباس ابن مرداس"[١] : (الوافر)

بُغاثُ الطَّيْرِ أَكْثَرُها فِراخًا وأم الصَّقْرِ مِقْلاتٌ نَزُورُ[٢]

وكثرة أفراخ بغاث الطير ليست من قبيل المدح إنما يقصد به قِلّة نفْعها مع كثرة عَدَدِها، قال "الجاحظ": " بغاث الطير: ضعافها وسفلتها" [٣]، و في المقابل فإنه كلما كان النتاج نادرًا كان ممدوحًا كريمًا، وذلك كالصَّقر، ولذا قالت العرب:" أنَّ النتاجَ الكريمَ قليلٌ" [٤]، وفي هذا يقول الشاعر: (الطويل)

فليس بغُاثُ الطير مثل صقورِها وليس الأسودُ الغُلب مثل الثَّعالبِ[٥]

وقد أفاد الرافعي بتناصه مع هذا التركيب التراثي، فجعل خطابه أعمق دلالة، وأكثر تأثيرًا، ولتصل لوحته التي رَسَمَها في مُخيّلتِه إلى المخاطب كما هي؛ فيعلن الاستسلام الذي يطمع إليه المنشئ .

---

(١) ديوان "العباس بن مرداس"، ص١٧٣، تحقيق: د. يحي الجبوري، مؤسسة الرسالة، ط١، ١٩٩٢م .

(٢) المُقِّلات من النساء: التي لا يعيش لهن ولد، ومن النُّوق: من تلد ولدًا واحدًا ولا تلد بعده، وقيل: المقلات التي تعمل وكرها في المهالك، والنَّزور بفتح النون: القليلة الأولاد، والنزر القليل. ينظر: حياة الحيوان الكبرى، كمال الدين محمد بن موسى بن عيسى الدميري، تحقيق: أحمد حسن بسج، ج١، ص٢٠٠، دار الكتب العلمية – بيروت، ط٢، ٢٠٠٣م .

(٣) ينظر: ثمار القلوب في المضاف والمنسوب ،لأبي منصور عبد الملك بن محمد بن إسماعيل الثعالبي، ص٥٥، دار المعارف– القاهرة ، د.ت.

(٤) جمهرة الأمثال؛ لأبي هلال العسكري، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، بالاشتراك، ج١، ص ٢٣١، دار الفكر، ط٢، ١٩٨٨م.

(٥) أورده "أبو حيان التوحيدي" في البصائر والذخائر، ولم يذكر قائلَه. ينظر: البصائر والذخائر، تحقيق: د. وداد القاضي، ج٦، ص٢٠٤، دار صادر– بيروت ، ط٤، ١٤١٩هـ – ١٩٩٩م.

ومثل ذلك، قول الرافعي متهكمًا على أساليب غريمه، فيصفها بأنها "**تدور في حلقةٍ مُفرغةٍ أوّلُها حيث شئتَ، وآخرها حيث شئتَ...**"[(١)]، أي أنها لا أول لها ولا آخر، وليست بذات هدف؛ فهي حلقة دائرية فارغة، لا ترى لها نقطة ابتداء، ولا نقطة انتهاء، كناية عن أن صاحب هذه الأساليب لا يعرف كيف يبدأ ولا كيف يختم حديثه، وهذا تعبير تراثي ؛ ليسنجم في هذا السياق الآني، حيث إنه يعبر عن مُراده أفضل تعبير، ويُغنِي عن كثيرٍ من الشرح والاستطراد، والأصل في هذا التركيب ما قالته "فاطمة الأنمارية" تصف أولادها: "هم كالحلقة المفرغة لا يُدرى أين طرفاها" [(٢)] ، وهذا اختيار يكشف عن موسوعية ثقافة الرافعي ، والتي كان لها فضلٌ في إيثاره لألفاظه وتراكيبه، وهو ما يُسمّى **بالانتخاب الثقافي**، والذي يعد أوضح أنواعه هو "الاختيار الواعي"[(٣)].

وتأخذُ هذه التراكيب المستدعاة مكانَها في نسيج النص؛ حتى إذا ما وقع عليها بصر المتلقي أو سمعتها أذُنُه، أدرك ما تحويها من دلالات وما ترمي إليه من إشارات، وهو ما يُعرف بجمالية التلقي، التي تنشأ عن قراءة العمل وتذوُّقه، أو بالأحرى" التحقُّق الذي ينجزه القارئ" [(٤)]، حيث إن النص

---

(١) البلاغ، الحلقة (٤) "المقالات المجهولة" ،ج٢، ص٦٩، ٧٠.

(٢) فاطمةُ بنتُ الخُرْشُب الأنماريةُ، من بني عَبْسٍ، زوجة زياد العبسي، وهي مَن يُضرب بها المثل، فيقال: أنجب من فاطمة، وكان أولادها من نجباء العرب: فقيل لها ذات يوم : أي أولادك الأفضل؟ قالت: الربيع، لا بل عمارة، لا بل فلان، ثم قالت: ثكلتُهم إن كنت أعلَمُ أيهم أفضل. ينظر: الأساس للزمخشري، (فرغ) ، والإيضاح في علوم البلاغة ، للقزويني، دار إحياء العلوم ، بيروت ، ط. ٤، ١٩٩٨م .

(٣) الانتخاب الثقافي، أجنر فوج، ترجمة: شوقي جلال، ص٧٨، المجلس الأعلى للثقافة، ط١، ٢٠٠٥م.

(٤) القارئ في النص، مقالات في الجمهور والتأويل، تحرير: سوزان روبين سليمان، إنجي كروسمان، ترجمة: د/ حسن كاظم، علي حاكم صالح، ص١٢٩، دار الكتاب الجديد المتحدة ، بيروت– لبنان ط١، ٢٠٠٧م.

الموازي/ المستدعى (para texte) ما هو إلا مفتاح لفَهْم النص، ومرشدٌ إلى فهمه وتأويله .

ومن دلائل ذلك، قول "الرافعي" في هذه المقالات بأن "العقاد" قد "**استوطأ العجْز مرْكبًا**" [١]، وهذا التركيب، مأخوذٌ من قول العرب: "العجز وطيء "[٢]، وهو يُضرب لمن قعد عن طلب معالي الأمور، وكل ما يُحمد بسببه، وبخاصةٍ مَن يترك حقَّه في المظالم، وهي الرسالة التي يريد منشئ الخطاب أن تصل للعقاد، عبر هذه التناصات التي تُؤدِّي هذه المهمة، الأمر الذي يتوجّب على المتلقي أن يَقرأ ما وراء الكلمات، إذ إن التناص هو "ملاحظة القارئ لعلاقات بين عمل أدبي، وأعمال أخرى سابقة عليه"[٣]، وأظنُّ أن "الرافعي" على عِلْمٍ بأن "العقاد" مُدركٌ لما تُشِعّه هذه المفردات والتراكيب التي تعالَق معها، وأثرَى بها خطَابَه؛ إذ إن القوالب اللغوية والأشكال التعبيرية لا تُفهم مجردة عن سياقها ، بل من خلال مقتضى الحال وقراءة المتلقي وتأويلاته ، وإنتاجيَّة الخطاب التي تنشأ عن خلفيَّة المتلقي المَعرفيَّة .

سيميائية بعض علامات الترقيم

كما أفاد "الرافعي" في هذه المقالات من العلامات السيميائية وتأثيراتها، وأهمها علامات الترقيم، إذ إن التقسيم الثلاثي للغة يجعل للسيمياء دورٌ مهم في مستويات اللغة، وهي" المستوى التركيبي، المستوى السيميائي، المستوى التداولي، والتي تتداخل وتتكامل فيما بينها "[٤]، والتداولية تعمل على إدراك العلائق بين العلامة/ النص ، والاستعمال.

---

(١) البلاغ، الحلقة (٣)"المقالات المجهولة"،ج٢، ص٥٦.

(٢) مجمع الأمثال،ج٢، ص٤٦، دار الكتب العلمية، بيروت ، ٢٠١٠م.

(٣) التناص في الشعر العربي الحديث، حصة البادي، ص٢١، دار كنوز للنشر والتوزيع، عمان– الأردن، ط١، ١٤٣٠هـ– ٢٠٠٩م.

(٤) نماذج تداولية ، د. يوسف تغزاوي، مكتبة ووراقة العمران، ص٨، جامعة محمد الأول، المغرب، الموسم الجامعي، ٢٠١٦، ٢٠١٧م.

ومن المعلوم أن الكاتبَ يُودِع انفعالاتِه بين سُطور نَصِّه، حيث لا يتسنَّى له الكشف عنها ، كما في الخطاب الشفهيِّ المباشر، فيستعيض عنها بعلامات الترقيم، أو التَّكرار، أو النَّبْر والتنغيم، مجتمعة هذه التقنيات أو منفردة، والتي تساعده على إخراج ما في صدره من نفثات ولواعج ، ولهذه الأهمية بَزَغ نَجْمُ الدراسات التي تتناول التشكيل البصري وفضاء الكتابة، وسيميائيَّتها ، كما "نشأت الرغبة في نقل سمات الأداء الشفهي الى المتلقي عبْر الكتابة" (١).

وقد أفاد "الرافعي" من هذه العلامات؛ في محاولة منه لنقْل انفعالاته إلى المخاطَب ، وبخاصة علامات الاستفهام والتأثُّر؛ إذ إن للسيمياء وعلاماتها دورًا في الحِجَاج الإقناعيِّ، " انطلاقًا من كونها عناصر حجاجية" (٢) .

وهدْم ديوان "العقاد" والتقليل من شأن صاحبِه، كانت مِن أكثر الأحكام دورانًا ووردًا في هذه المقالات، ومن ذلك قوله: "**وفي رأينا أن هذه الأربعين التي جاءنا بوحْيها العقادُ في هذا الديوان ليست بأربعين سنة من عُمْره، كما يقول، بل.. بل أربعين كتابًا من مكتبته**" (٣)**!**

وإنَّ المتأمِّل يَرى أنَّ "الرافعي" أفاد من علامة التأثُّر التي أَنهى بها فقرته، وهي آخر ما تقع عليه عينُ القارئ؛ ليشارك المنشئ شعورَه وانفعالاتِه، كما أفاد– كذلك– من تداوليَّة التّكرار التي أفادته "بل"؛ والنقطتين المتجاورتين(..)– وهي من علامات الترقيم المستحدَثة– ليقف عليها مُنْهيًا فقرته، ثم يستأنف بها؛ لِلَفَت الانتباه، وإلقاء الضَّوء على ما تُوحي به الكلماتُ من دلالاتٍ عميقة؛ إذ

(١) ينظر: التشكيل البصري في الشعر العربي الحديث، د. محمد الصفراني، ص١٤، المركز الثقافي العربي، بيروت، الدار البيضاء ط١، ٢٠٠٨م.

(٢) استراتيجية الخطاب ، ص٤٥٦ .

(٣) المقالات المجهولة ،ج٢، ص ٢٦.

مِن أهداف علامات الترقيم " أن يتمكّن القارئ من تنويع صوته؛ تَبَعًا لأغراض الكاتب، وتوضيحًا للمعاني التي قصَدها، ومراعاة للوجدان الذي أَمْلَى عليه [١]. كما أفاد صاحبُ مقالات "وحي الأربعين" من علامة الاستفهام وتأثيراتها، والاستفهام- كما هو مشهور- من علامات "النبرات الصوتية، وتمييز الأغراض الكلامية " [٢]، وقد لا يكتفي بها، بل يُلحق بها علامةَ التأثُّر، وبخاصةٍ إذا كان الاستفهام على سبيل المجاز، ويقصد به التعجُّب، ومن نماذج ذلك استنكاره لقول العقاد "زهرة القُبح": "**ولا ندري كيف يأتي أن تكون الزهرة للقُبح، واشتقاق لفظها للجمال والإشراق**" ؟! .

وعندما تقع عينُ القارئ على هذه العلامة وأخواتها؛ يدرك أنها لم تأتِ من باب تزيين الكلام وزخرفته -فحسب- بل لها وظائف دلالية، ووجدانية وسيميائية، تتنوّع باختلاف المقام ، والحالة الشعورية لمُنشئ الخطاب .

وكثيرةٌ هي النماذج التي باتت شاهدة على إفادة الكاتب من أدوات اللغة ووسائلها، وطاقاتها التعبيرية؛ ليثبت صدق ادّعاءاته، ويؤكد حُججَه واستدلالاتِه، فضلًا عن إفادته من التشكيل البصري وتأثيراته على المتلقي .

إلى غيرها من الأدوات والآليات اللغوية التي جاءت في خطاب الرافعي؛ لينظم العلاقة بين الاستدلالات والحجج والنتائج التي يهدف إليها، وذلك فيما لا يخلُّ بالسياق، ولا بقصدية المخاطَب- كذلك- التي يرعاها المتكلم إبَّان بناء هيكله الخطابي.

---

(١) الترقيم وعلاماته في اللغة العربية، أحمد زكي باشا، ص٧، مكتبة المطبوعات الإسلامية، بحلب، ١٩١٢م.

(٢) السابق ، ص٢٢.

المطلب الثاني
من الآليات البلاغية

عمَد "الرافعي" إلى الإفادة من الأساليب البلاغية ، فهي بلا شك آلية من آليات الحجاج؛ فمن غاياتها الإقناع والتأثير والاستمالة، عن طريق الصورة والأساليب، كي يرتقي بحُجَجه ويحاول أن يجعل خصمه غير قادر على الرد والمحاججة؛ فالبلاغة – كما قيل– " قصدٌ إلى الحُجَّة" (١) ، وموضوع التداولية – في الأساس– مراعاة السياق ، وموافقة الحال والمقام .

وقد رَبط النقادُ في العصر الحديث بين البلاغة والتداولية، بقولهم : " ويأتي مفهوم التداولية هذا؛ ليُغطي بطريقة منهجية مُنظَّمةٍ المساحةَ التي كان يشار إليها في البلاغة القديمة بعبارة مقتضى الحال، وهي التي أنتجت المقولة الشهيرة " لكل مقامٍ مقال" (٢) ، وقد أفاد كاتب " وحي الأربعين" من علوم البلاغة وفروعها المختلفة؛ وذلك ليُضفي على نصِّه عُمقًا ، وثراءً ، وكفاءةً تواصليَّة، تُسهم في نجاح حِجَاجه ، والتي منها :

(أولاً) الصُّوَرُ البيانيَّة

حفَل أسلوب "الرافعي" بالصور البيانية ، فلا تكاد تجد فقرة إلا وفيها صورًا بيانية متعددة ؛ حيث إنه يَعلم أثرها في الكلام، ومكانها في الخطاب، وتأثيرها في المتلقي؛ إذ البيان "أصلٌ من أصولٌ الأدب؛ لأن النفس تُصوِّر به ما يبعث فيه قوة التأثير" (٣)، فالصورة لا تأتي لذاتها دالة على الكناية أو التشبيه أو الاستعارة ... فحسب، بل كما يقول الإمام "عبد القاهر": "فليس تأثيرُ الاستعارةِ – إذن– في ذاتِ المعنى وحَقيقَتِه، بل في إيجابِهِ والحُكْم

(١) الصناعتين ، ص ١٦ .

(٢) بلاغة الخطاب وعلم النص، د. صلاح فضل، ص ٢١، سلسلة عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون، الكويت، أغسطس ١٩٩٢م .

(٣) الآراء النقدية عند الرافعي بين النظرية والتطبيق، علي بختي، ص٨٩، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ٢٠١٤م.

بـه"[١]، وفـي هـذه العلاقـة يسـعى المـتكلم إلـى التفاعـل بـين طرفـي التشـبيه ، ليجعل المتلقي يراه في صورة المحسوس؛ وحينئذٍ يتمثّله، ويُدرِك حجمَه وأثره.

ويأتي هذا النموذج، ليكشف إفادة الرافعي من هذه الآلية، يقول في وصف شِعْر "العقاد": "**وما يُخيَّل إليَّ في شِعر العقاد إلا أنه مستنقع اخضرَّتْ ضفّتاه، فهذه الجمال القليل فيه لا يكشف عن سِرٍّ ورونق وإمتاع، وإنما يزيد في القُبْح والشُّنْعة... ولو أنك كنتَ شاعرًا دقيق الحسّ مُصفَّى الذَّوق عالي البيان، ثم قرأتَ شِعْر العقاد؛ لرأيتَ مِن ألفاظه ألفاظًا تلسعُ الذَّوقَ لسْع البعوض، ومِن شِعْره أبياتًا تنهَق نَهيقِ الضفادع...**"[٢]، وبالتأمُّل هذه الصور المركبة التي حفلتْ بها الفقرة يظهر أنها جاءت لتبين حجْم التألم والضرر الذي يقع على مُتلقي ديوان الوحي؛ فينفضوا من حوله، خائفين من(اللسع، والنهيق...)، مفيدًا من الدلالات الإيحائية التي لها في الوعي الجمْعيِّ دلالة رمزية ؛ حيث إن اللغة – في الأصل – ظاهرةٌ اجتماعية عرفية ، وبخاصةٍ عندما آثر حذف أداة التشبيه (**مستنقع ، لسْع ، نهيق)** ، وذلك توكيدًا للصورة التي يرسمها، وإيهام أن المشبه هو المشبه به ذاته ، وهو ما يمثل " قانونًا للعبور من المعطى للنتيجة المنتظرة "[٣]، إضافة إلى ذلك: السخرية والتهكم والاستهجان المنبثق من محور المشابهة، فضلًا عن تأكيد الأحكام التي لا يَمَلُّ من تَكرارها في فضاء خطابه، وهي خروج ديوان "وحي الأربعين" من دائرة الإبداع الشعري المقبول، ومحاصرة اعتراض المرسل إليه على الدعاوي المذكورة .

ولا يخفى قيمة "**الاستعارة**" الحجاجية في قوله:" **دقيق الحِسّ، مُصفَّى الذَّوق، عالي البيان**" ، حيث إن للاستعارة قصب السبق ومكانةً مرموقة في

---

(١) دلائل الإعجاز، الإمام عبد القاهر الجرجاني ، ص٧١ ، تحقيق الشيخ . محمود شاكر، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، د. ط ، ٢٠٠٠م .

(٢) البلاغ ، الحلقة (١)، المقالات المجهولة ،ج٢، ص ٢٧.

(٣) ينظر: في نظرية الحجاج ، د. عبد الله صولة، ص٩٢.

أساليب المجاز واللغة الشاعرة ، ومن خلالها أعمل الرافعيُ فكرَه وخياله وصَهَر منهما بوتقةً إبداعيَّة تكشف نظرته للأشياء ، لا على سبيل الإمتاع والتصوير المُجرَّد، بل ليوظفها في معركته النقدية، أو بالأحرى من وظيفتها الجمالية إلى وظيفةٍ إقناعيّة حجاجية ، تُسهم – بأبعادها التداوليَّة– في حمْل الطرَف الآخَر على قَبول المضامين التي يَحويها الخطاب الذي أُرسِل إليه .

وقد يتكئ على " **التشبيه التمثيلي**" ؛ لإثبات قدرته على التخييل ورسم مشاهدَ حيَّة، تعمل على تقريب الصورة الذهنية للمرسل إليه، وشرح ما استغلق عليه فهمه، وليستدل لحُجَجه بأدلة حسيَّة مباشرة، فيحاول عقد "الصلة بين صورتين متشابهتين؛ ليتمكن المرسِل من الاحتجاج وبيان حُجَجِه"(١).

ومن ذلك ما أتى به الرافعي؛ ليَمنح "العقادَ" صفة (الكاتب)، ويمنع عنه الشاعرية ، فهو – في نظر المُرسلِ– لم يُخلق لها، كما أنها لم تُخلق له، يقول:" **ونحن نعرف "العقاد" رجلًا ذكيًّا مطلعًا ، ولكن هذه الخصال على أنها الطبقات العليا في صناعة الكتابة الصحفية هي الطبقات السفلى في صناعة الشعر العالي، فإن الإلهام من فوقها يبدأ، وكأنها الجاذبية الأرضية: لا يتخطى حدودها من كانت طبيعته من الأرض وإن علا في طيَّارةٍ أبعد ما يعلو وإلى أن يختنق...**" (٢)، يُشبِّه "الرافعي" المهارات التي يمتاز بها (الكاتب) من معارف وسعة اطّلاع، وموسوعية ثقافة، بالجاذبية الأرضية، التي تمنع من يَقْطُن الأرض ويدبُّ على ثراها، فهو لا يستطيع التحليق بعيدًا عنها، وإلا اختنق؛ لبعده عنها وعن خصائصها التي لا يَرضى بها بدلًا، ولا يبغِي عنها حِـوَلًا .

وقد آثر "الرافعي" التمثيل؛ ليبيِّن حقيقة الطَّبع والسجيَّة، والتصنُّع والتكلُّف، فالشعر موهبةٌ لا تتأتَّى لكلِّ كاتب، بل الشِّعر صعبٌ وطويلٌ سُلَّمه،

(١) ينظر: استراتيجيات الخطاب ، ص ٤٩٧.

(٢) البلاغ ، الحلقة (٢) ، المقالات المجهولة،ج٢، ص ٤١.

لا يستطيع صعوده إلا من تَخَلَّص من قيود جاذبية الأسلوب الصحفي، هذا التمثيل آثره الرافعي؛ لعِلْمه أن للتمثيل مزية لا يتحلَّى بها الأسلوب الإخباري المباشر؛ فقد" اتفق العقلاءُ على أن التمثيل إذا جاءَ في أعقاب المعاني، أو بَرَزَتْ هي باختصار في مَعرِضه، ونُقِلت عن صُوَرها الأصلية إلى صورته، كساها أُبَّهةً، وكَسَبها مَنْقَبةً ... وإن كان حِجاجًا، كان بُرهانه أنور، وسلطانه أقهر، وبَيَانه أبْهر" (١)، ولهذا عمد إليه الرافعي، وجعلَه وسيلةً له في حِجَاجه وبيانه الاستدلالي؛ فالعلاقة علاقة تشابه، وهو ما يفيد جماليَّة المُتعة والطّرافة، وإصابة للهدف معًا .

ومن خلاله قصصه التي كان يستهل بها بعض مقالاته، والتي تشبه قصص كليلة ودمنة ، إمعانًا في السخرية والتهكم ، تظهر"**الكناية**" لتُسهم في استراتيجية الخطاب، فيقول عن "العقاد" : "... **وأبصر ظِلَّه ... فارتمَى يفحص الأرض برِجْله، ويلوي عنقَه كأنه يزويه عن السِّكين** ..." (٢) ، وبها يريد المنشئ أن يعبر عن الحقيقة التي في نفسه بما هو مادي محسوس ، هذه الحقيقة هي خوف العقاد وهلَعه من ادِّعاءات خصمه، وعدم استطاعته ردّها وإنكارها ، وكانت الكناية مفيدة في هذا السياق؛ حيث إن الكناية " تعطي المعنى مصحوبًا بالدليل والبرهان ، فيكون ذلك تثبيتًا في الذهن" (٣) ، والتأكيد والتثبيت والتأثير في نفْس السامع والعمل على إقناعه واستمالَتِه مِن صميم أهداف مُنشئ الخطاب ، الذي يقوم عمودُه على الحوار والحِجَاج والجدَل .

(١) أسرار البلاغة، الإمام "عبد القاهر الجرجاني"، تحقيق الشيخ " محمود محمد شاكر"، ص ١١٥، مطبعة المدني بالقاهرة، جدة ، د، ت.

(٢) البلاغ ، الحلقة (٤) ، المقالات المجهولة، ج٢، ص ٦٦.

(٣) الكناية والتعريض ، الثعالبي ، تحقيق د . عائشة حسين فريد ، ص ٤٤، دار قباء للطباعة والنشر ، القاهرة ، ١٩٩٨م.

والمُتتبِّع يجدُ الكثيرَ من النماذج التي آثر فيها "الرافعي" المجازَ على الحقيقة، والتصريح على التلميح؛ وذلك للأثر التي تتركه الصورة في نفوس المتلقين، ودورها المحوري في الخطاب الحِجَاجي .

(ثانيًا) التَّكرار:

من الأدوات اللغوية التي يسعى إليها المُحاج(المتكلم)؛ لإثبات الطَّرح، وتصديق الدعوى ، وتبيين الحجة، فغاية الحجاج: البرهان والإقناع ، وهو ما أفاد منه "الرافعي" في "وحي الأربعين"؛ في تأكيد ادعاءاته واتهاماته، ويسلط الضوء عليها، ويلفت الأنظار إليها، وبخاصة في مجال التهديد والوعيد والزجر، وهذا من فوائد التكرار، الذي بين ابن أبي الإصبع بعض أسباب المجيئ بقوله : " أن يكرر المتكلم اللفظة الواحدة؛ لتأكيد الوصف، أو المدح أو الذم، أو التهويل، أو الوعيد"[١] .

ومن أبرز النماذج التي أوردها الرافعي في مقالاته، هذه المتواليات المكررة ، ردًّا على اتهام العقاد له بأنه يحتل منزلة دُنْيا في اللغة والنقد، فردَّ عليه الرافعي في أسلوب انفعاليٍّ خطابيٍّ مُؤثِّر، مُستدلًا بأقوال أعلام معاصرين لكِلَا المتخاطِبَين؛ كبراهين على عُلوِّ كَعْبه وُسُموِّ بيانه، يقول:" **أَمِن البراهين عند العقاد ذلك الذي هو أذكى وأبلغ رجل في الشرق وهو المغفور له "سعد زغلول" في وصف بيان الرافعي" في كتابه" إعجاز القرآن:" كأنه تنزيلٌ من التنزيل أو قَبَسٌ من نور الذِّكر الحكيم"، أمْ مِن تلك البراهين قول صاحبنا الأديب العظيم الأمير "شكيب أرسلان"... كلام الأستاذ مفخرة العرب وحجة**

(١) تحرير التحبير، لابن أبي الإصبع المصري، ص ٣٧٥، تحقيق : د. حفني شرف ، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ، ١٩٦٣م.

الأواخر على الأوائل ... أمْ مِن تلك البراهين قول "شوقي"... أمْ مِن تلك البراهين، قول حافظ إبراهيم...أم تلك البراهين قول العقاد نفسه..." (١)

وقد أفاد الرافعي من آلية التَّكرار؛ ليرد على "العقَّاد"، ويثبت كَمْ هِيَ الشهادات والأوسمة التي حَصَل عليها ممن هُمْ – في نظر الرافعي وما تفيده تداوليًّا – الأفضل بيانًا، والأرفع قدرًا ، والأعلى منزلة؛ – فكرَّر الجملة "**أَمْ مِنْ البراهين**" خمس مرَّات متواليات؛ لأنه–أي التكرار– أنكَى في الحجاج وأبلغُ في الردود؛ إذ إنه " آليةٌ بيانيةٌ ذات وظائف لا تقلُّ أهمية عن الإيجاز، وملجأٌ فنيٌ يلجأ إليه المبدع ساعةَ إبلاغ الرسالة؛ لما فيها من التقرير وإذاعة الإيقاع الوظيفي الفعال"(٢)؛ وذلك ليربط ميثاقًا تواصليًّا بينه وبين المخاطب من داخل الخطاب ذاته؛ ليتلاءم وسياق الخطاب، وليتأكد من وصول مضامينه كاملة للمتلقي .

وفي سياق السخرية والتهكم، قد استهل الرافعي مقالته الثالثة بتناصِّه مع قول العرب واستعمالِها له في مِثل هذا السياق: "البعرة تدل على البعير"، ثم جاء بها في آخر المقال ذاته، تأكيدًا على ما يحويه من إشارات، فيقول:" **والبعرة– كما قلنا– تدل على البعير**"(٣)؛ ليرسخ في ذهن من يُوجِّه له الخطاب– وكذلك جمهوره الذي يُراقِب ويُتابِع ويُقيِّم – مكانةَ كل طرف، فيثبت لنفسه العُلوَّ والسُموَّ ، ولغريمه عكس ذلك ، وكان هذا التكرار اللفظي في آخر المقال؛ تأكيدًا وتقريرًا ، ولذا قيل:" الكلام إذا تكرَّر تَقرَّر " (٤).

---

(١) تم اختصار هذه الأقوال؛ لأن مجال البحث – هنا– لا يحتمل ذكرها كلية، وإنما كان الغرض هو إثبات آلية التكرار، ودلالتها في بناء الخطاب. ينظر: جريدة البلاغ الحلقة الثانية ، المقالات المجهولة، ج٢، ص ٧١.

(٢) خصائص التكرار الشعري، محمد الأمين الخلادي، مركز دراسات الكوفة، العدد التاسع عشر، ٢٠١٠م ، ص ٢٦.

(٣) ينظر: البلاغ ، الحلقة (٣)، المقالات المجهولة،ج٢، ص٣٥، ٤٩.

(٤) الكليات، لأبى البقاء الكفومي، ص٤١١، مؤسسة الرسالة – بيروت، ١٩٩٨م.

ويستمر الرافعي في بث هذه المضامين في خطابه، فيخاطب العقاد من علٍ، ويقول له بين الفينة والأخرى: "**ولأُفسِّر لكَ على قدْر فَهْمِك...**"، **وإذا أردتَ دليلًا على قَدْرِ فَهمِك...**"؛ وذلك إمعانًا في إثبات أنه هو الأعلى مكانة، والأصدق حُجَّة ، وتكمن أهمية هذا التكرار في أن الثاني يحيل على الأول ؛ تنبيهًا وتأكيدًا، ولذا يقول السيوطي: " إن التكرار هو التجديد للفظ الأول، ويفيد ضرْبًا مِن التأكيد " [١] .

كما عمد إلى التكرار المعنوي للهدف ذاته، وليثبت ضعف شِعر العقاد، وأنه لا بد له من تفسير، مما يخرجه عن نطاق الشعر الجيد – بحسب رأي الرافعي– فيقول عنه أنه" **لا يقوم بنفْسِه ، ولا بُدّ له مِن شرحٍ ، ولا بُدّ له مِن تفسير**"[٢]، حيث إن في الجملتين الأخيريتين تكرارًا لفظيًا، أي "ولا بد له"، وآخر معنوي (الشرح والتفسير)، وهذا التكرار تكرار وظيفي من تقنيات الحجاج الذي سعى إليه الرافعي؛ تأكيدًا على المعاني التي يريد أن تبقى عالقة في ذهن المخاطب؛ فلا ينساها أو يتناساها .

(ثالثًا) القصْر

والقصْر من العوامل الحجاجية – التي أفاد منه الرافعي في تواصله مع المرسل إليه– وهو ما " يقوم بحصر وتقييد الامكانات الحجاجية التي تكون لقول ما "[٣]، هذا القول الذي يعمل على التنبيه عليه، سواءً كان على سبيل تبيين الحقائق، أو توطيد أركان السخرية والتهكُّم، فمن الأخير قوله: "**ليس من العقّاد إلا العقّاد**[٤]، والجملة تحمل من الإيحاءات ما تحمل، وذلك في بنائها الفني، وبُعدها التداولي، فإنه " من بين الفئات الجمالية يكون الهزلي قابل لأن

(١) تاج العروس، للزبيدي، (كرر)، ج٧، ص١٤، دار الكتب العلمية– بيروت، د. ت.
(٢) البلاغ ، الحلقة (٢)، المقالات المجهولة،ج٢، ص ٤١.
(٣) التحاجج .. طبيعته ومجالاته، ص ١٠٣.
(٤)البلاغ ، الحلقة (٣)، المقالات المجهولة ،ج٢، ص ٥٣.

يُتعرف عليه" [١]؛ من خلال الاستعمال والعرف السائد، ويُعضِّد هذه النتيجة ما قاله كاتب هذه المقالات، للسخرية من ديوان الوحي : "**وديوانه لا يَشهد له في ذلك إلا من نوع شهادة فقر**" [٢] ، وقد قصر الرافعي قصر الشهادة للديوان والاعتراف بفضله على شهادة الفقر ، وهو تعبير شائع ، أفاد منه في كسر أفق توقع غريمه، والذي من الممكن– كما يظن المنشئ– أن يصاب بالإحباط أو التوتر إبَّان المعركة النقدية، والتي لم تضع أوزارها حينئذ.

ومن الثاني قوله ردًا على بعض تعبيرات صاحب ديوان "الوحي": "... **فالحياة ليست أُمًّا لأحَد، وإنما الأمُّ هي الدنيا**" [٣]، وفي الحالتين يحرص المنشئ على نقل القناعات التي عنده إلى المتلقي؛ حيث إن التراكيب – التي تتموضع في النص ويؤثرها المنشئ على ما سواها– لا بُدّ أن تسير في السياق الذي يريد ، وتضيف إلى النص دلالات تؤكد رؤيته الكُلِّيَّة .

وعندما يؤثر الرافعي أسلوب "القصر" فإنه يحمل المخاطب على عدم تفسير الموقف إلا بالتفسير الذي يريد ، وبالقِيَم التي يتبناها، وبذوقه النقدي الخاص، وهو ما ظهر جليًّا في قوله على شعر العقاد : " **فهذه الجمال القليل فيه لا يكشف عن سِرٍّ ورونق وإمتاع، وإنما يزيد في القُبْح والشُّنْعة...**"[٤]، وتظهر هنا القيمة الحجاجية لأسلوب القصر، حيث إن مَن يُوجَّه إليه الخطاب لا يُسلَّم بمقتضاه، ولا يقْبل بمحتواه، فصاغ المرسل نتيجته ، بصورة تحْملُه على الإقناع والتسليم .

---

(١) ينظر: الهزلي والشعري، جان كوهن ، ضمن كتاب" نظرية الأدب في القرن العشرين"، ص ٩٩، ترجمة وتقديم ، د. محمد العمري ، أفريقيا الشرق، الدار البيضاء ، ١٩٩٩م .

(٢) البلاغ ، الحلقة (٢)، المقالات المجهولة ،ج٢، ص٤١.

(٣) البلاغ ، الحلقة (٢) المقالات المجهولة،ج٢، ص ٤٩.

(٤) البلاغ ، الحلقة (١)، المقالات المجهولة ،ج٢، ص ٢٧.

ومن ذلك- أيضًا- خطابه للعقاد الذي قرر فيه قاعدة نحوية وهي" **أن الضم لا يكون إلا في المبنيات...**"[١]، والكلام على سجيته من غير تقييد لا يفيد في الخطاب الحجاجي، مثل ما يفيده مثل هذا الأسلوب، وكذلك في قول فقد حصر المرسِل مقصوده مباشرة إلى المرسل إليه؛ لغاية إثبات النتيجة المقصودة، في سياقٍ تواصلي يمنع اللبس والتوهم، وهو ما لا يفيده غالبًا ما عداه من الأساليب .

(رابعًا) التفصيل بعد الإجمال ، أو تقسيم الكل إلى أجزائه .

إن المُتتبِّع لأسلوب الرافعي عمومًا وفي هذه المقالات على وجه الخصوص يجده حريصًا على الكفاءة التواصلية، ومهتمًا باستراتيجيته الإقناعية، وأن أول خطابه كآخرِه في قوته التعبيرية وتقنياته الحجاجية، وأبعادها التداولية، ومراعاة السياق والمقام لنجاح موقف الاتصال ، ومن هذه التقنيات: التفصيل بعد الإجمال الذي يفيد التوضيح والبيان، أو ما يعرف بالتفريغ[٢]، وهو "أن يَذكُر المرسِل حجته بصورة كليه في أول الأمر، ثم يعود إلى تفنيدها وتعداد أجزائها، إن كانت ذات أجزاء؛ وذلك ليحافظ على قوتها الحجاجية، فكل جزء منها بمثابة دليلٌ على دعواه "[٣] ، ومن ذلك ما نجده عند "الرافعي" في قوله: " **ولم أر في كل ما قرأت من شعر أدبائنا ما يستوفي جميع أوصاف الشِّعر الوسط كنظْم صاحب" وحي الأربعين"؛ فلُه فلسفةٌ وفكرٌ وطريقةٌ... ولكنه أُعطيَ هذا كله، ولم يُعط أسباب التمكين فيه، وَتَكلَّف لمظاهر القدرة العالية ولم يَهبْه الله خصائص هذه القدرة، وجاوَزَ عند نفْسه**

(١) البلاغ، الحلقة (٣)، المقالات المجهولة ،ج٢، ص ٥٧.

(٢) ينظر: الكليات، للكفومي، ص٤٥٦، أسلوبية الحجاج التداولي والبلاغي ، د. مثنى كاظم صادق ، ص ٢٠١ ، كلمة للنشر والتوزيع ، لبنان ، ط. ١، ٢٠١٥م .

(٣) استراتيجيات الخطاب، ص ٤٩٤ .

حدود العبقرية وهو محتَبِسٌ من ورائها بطبْعه الضعيف، وأَغْرَق في المحاولة؛ ليغرق مثل ذلك في الخَيْبة ..." [١] .

وتأتي هذه الأحكام التي أطْلقها "الرافعي" في أول حلقة من مقالاته الأربع؛ ليلخِّص أهدافها، وينجز خطته التي أقرَّها في نفسه، وهو انتفاء موهبة الشعر عند "العقاد"، فيقول بعد أن استهل بقولٍ للجاحظ عن الشعر "الوَسَط" ؛ كناية عن مستواه الرديء ؛ فالوسط في زمن الجاحظ ليس مقبولًا في عصر المنشئ، وقد أطلق الرافعي حُكْمه إجمالًا في بادئ الأمر، ثم فصَّله وعلله إلى أجزاء ووحدات صغرى (لم يعط أسباب التمكين، التكلف، الطبع الضعيف، فشل المحاولة ...)؛ وذلك ليجعل كل عِلَّة من هذه العِلل حُجَّةً مستقلة، تتضاف إلى الحُجَّة الكلية التي جاءت في بداية فقرته .

(خامسًا) المَثَلُ السَّائر

أفاد صاحب مقالات "وحي الأربعين" بالأقوال الموجزة التي جرتْ مجرى الأمثال، ويشغلُ ضربُ المثلُ في الخطاب الحجاجي أهمية قصوى؛ نظرًا لما يتميَّزُ به من خصائصَ تواصلية، لكثرة جريانه على الألسن وتداوله في الخطاب اليومي، واحتوائه على روافد حجاجيةٍ، يسعى إليها المرسل في بثِّ أفكارِه، كما أنها في الوقت ذاته، تحضُّ المخاطب على قَبول الحُجّة، والاقتناع بما فيها، "وقد وقيل المَثَلُ هو الحُجَّة، وهو صحيح لأنه يُحتَجُّ به"[٢].

ومن نماذج ذلك ما ورد في مقام السُّخرية قول "الرافعي": " **كنتُ أظنُّ أن العقادَ عاقلٌ؛ فإذا لطُولِه معنى**" [٣]، ولا يخفى أن هذا تعريض بالعقاد، ومحاولة للتقليل من شأنه، بما أثر عن العرب في ذلك، إذْ سُمع عنهم قولُهم:"

---

(١) ينظر: البلاغ ، الحلقة (١)، المقالات المجهولة،ج٢، ص ٢١.

(٢) زهر الأكم في الأمثال والحِكَم، الحسن اليوسي، ج١، ص ٢٠، دار الثقافة، الدار البيضاء، المغرب، ط. ١، ١٩٨١م.

(٣) البلاغ ، الحلقة ٣، المجهولة ، ص ٥٤

ذَهَبَتْ طُولًا، وَعَدِمَتْ مَعْقُولًا " [١]، وهو يُضرب للطويل بلا منفعة ولا طائل ، وقولهم- أيضًا- "ضاع عقله في طوله" [٢]، وهو من التندُّر بطويل القامَة، ورميه بالبلَه والخَبَل، وهي من المعاني التي يصف بها الرافعي غريمه ، ويُحاول أن يرميه بها .

ويكون الهدف من هذا التناص الفلكلوري: التأثيرَ في المخاطب والسعي إلى إقناعه، ومحاولة الاعتراف بالادعاءات الموجهة إليه، والسيطرة على مجريات الخطاب، وبخاصة إذا لم يُقحَم المثَلُ في النصِّ إقحامًا، الأمر الذي يدركه الرافعي؛ فجاءت معظم أمثاله معضدة لحجته دالة على مراده، ومنه قوله الذي استهل به الحلقة الثانية من مقالاته: " **نحن لا نستقصي في هذا النقد، وإنما مذهبُنا في شعر العقاد": والبعرة تدل البعير...**"[٣]، يريد أن بعض شِعر "العقاد"- الذي عدد بعض معايبه في الحلقة الأولى- نموذجٌ لإبداعه كُلِّه، وهذا المثل السائر الذي استند عليه الرافعي، موجزٌ في بنيانه، عميق في دلالاته، ولذلك عد صاحبُ "العمدة" المثلَ- عمومًا- مِن أفضل الكلام، وأصدقه، وأوجزه، وأحكمه أصدقه [٤]، فضلًا عن ما يشتمل عليه من

---

(١) مجمع الامثال، للميداني، ج١، ص٢٨٢، تحقيق الشيخ: محمد محيي الدين عبد الحميد، دار المعرفة بيروت ، د. ت .

(٢) معجم الامثال العربية، رأفت علام، دار المشرق، ٢٠١٨م، الأمثال العامية، أحمد تيمور باشا، دار الشروق ، ط. ١، ٢٠١٠م .

(٣) البلاغ، الحلقة٢، المجهولة، ص ٣٥، وهذا المَثل سُمع عن العرب، فقد ورد أن أعرابيًا أجاب "الأصمعي" عن سؤاله: بمَ عرفتَ ربك؟ فقال: "البعرة تدل على البعير، وأثر الأقدام تدل على المسير؛ فسماءٌ ذات أبراج، وأرضٌ ذات فجاج، ألا تدل على اللطيف الخبير" . ينظر: روح المعاني، للألوسي، ج٢٦، ص٦٢، دار إحياء التراث العربي، بيروت ، د. ت، ينظر- أيضًا-حاشية العطار على جمع الجوامع، حسن العطار، ج٢، ص٤٤٥ ، دار الكتب العلمية،١٩٩٩م .

(٤) ينظر: العمدة، لابن رشيق، ج١، ص٢٨٠، تحقيق الشيخ: محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الجيل، ط. ٥ ،١٩٨١م .

قيمة تواصلية ، ولهذا كان أنجع من غيره – غالبًا– في إيصال المضامين التي احتوى عليها هذا النموذج ودعم آراء الكاتب ، وتثبيت أركان حُجَجِه، التي سعى حثيثًا إليها .

(سادسًا) الاستدراج، وهو عبارة – كما يقول "ابن الأثير"– عن "مخادعات الأقوال التي تقوم مقام مخادعات الأفعال؛ والكلام فيه وإن تضمن بلاغة فليس الغرض ههنا ذكر بلاغته فقط ، بل الغرض ذكر ما تضمنه من النكت الدقيقة في استدراج الخصم إلى الإذعان والتسليم، وإذا حُقِقَ النَّظرَ فيه عُلِم أنَّ مَدَار البلاغة كلها عليه "[١].

وهو ما عمد إليه كاتب هذا المقالات في مناظرته ، فيقول ردًّا على بعض استدلالات" العقاد" التي يراها غير صحيحة:" **ونحن نعرف العقاد رجلًا ذكيًّا مُطِّلعًا...**"[٢]، ونجد له في معرضٍ آخر: " **نقول: إنَّ الرِّفقَ بالعقاد –هنا– أشد وجوبًا من الرِّفق فيما مرَّ...**"[٣]، يريد الكاتب أن يستدرج خصمه–هنا– باستهلال حبيبٍ إلى نفْسه، سبيله إلى ذلك المجاملة والتلطُّف، وهو على غير الحقيقة؛ فالمعركة النقدية لم تضع أوزارها بعد، لكنه باب المخادعة والاستدراج؛ كي يَضمن المُرسِل سماع الخصم حجته كاملة، لا يرفضها من أوَّل وَهْلة ؛ فينقطع حبل الاتصال ، وهو ما لا يريده المرسِل في هذه المرحلة الأوليَّة .

(سابعًا) الدّور الاستراتيجي للأساليب الإنشائية :

لأنها تعد أفعالًا إنجازية ينشئ منها المُرسِل مضامين محددة ، فالحجاج يخضع –غالبًا– للحوارية القائمة بين طرفي الخطاب، ويَبْرُز دوره في الطلبي

---

(١) المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، لابن الأثير، تحقيق الدكتور: محمد محي الدين عبد الحميد، ج٢، ص٦٤، المكتبة العصرية للطباعة والنشر – بيروت، ١٤٢٠ هـ، والمثل السائر، ج٢، ١٧٢.

(٢) البلاغ ، الحلقة (٢)، المقالات المجهولة،ج٢ ، ص ٤١ .

(٣) البلاغ ، الحلقة (٣)، المقالات المجهولة،ج٢ ، ص ٥٩ .

منه، الذي يلزم الخصم– في أحيان كثيرة –على الإصغاء واستلام الرسالة الكائنة في فحواه؛ "فإن القيمة الإنجازية التي تصطبغ بها جملة الاستفهام والأمر والنهي والنداء تُعد قيمة ذات قوة دلالية " [1]، في التواصل اللغوي؛ شريطة أن تكون متسقة مع المقام وأحوال المستقبل .

ويُعد "الاستفهام" من أقوى أساليب الحجاج ؛ ولذلك نجده كثيرا في المحاورات الحجاجية ، وهو ما يسمى ببنية الاستدراج بالسؤال، فبها يُقدِّم المتكلم أسئلة يلقيها على مسامع خصمه، لا لينتظر منه جوابًا فحسب ، بل ليُدلِّل على قوة حُجَّته ونجاعة أدِلَّته، وهو ما أفاد منه "الرافعي" في وحي الأربعين بصورة مطردة ؛ إذ يُعَد الاستفهام مِن أكثر ما أفاد منه من أساليب، إن لم يكن أكثره بلا منازع ، ومن نماذج ذلك قوله:" **وما ندري – والله– كيف يَفْهم هذا الرَّجُل ؟! ولا كيف يَعتبر الناسَ الذي يقرأونه ؟! وما هي فلسفته في السبِّ والشتم ؟! وهل هذا جهل منه، أم تعاقل ؟! وهل هو تطاول أم تظارف ؟! وهل تلك قدرة أم عجز ...؟!** [2].

فهذه الأسئلة المطروحة –هنا– ليس لمعرفة أمر يجهله المرسِل؛ بل لينهَل من المعاني المجازية التي يفيدها الاستفهام، كالتقرير، أو التحقير، أو الإنكار، أو التعجب ... وهو ما يُفيده طرح السؤال في الأساس؛ فالسؤال" يمكن أن يُضخِّم الاختلاف حول موضوعٍ ما إذا كان المخاطب لا يشاطر المتكلم الإقرار بجوابٍ ما، كما يمكن أن يُلطِّف السؤال ما بين طرفي الخلاف إذا كان المخاطب يميل إلى الإقرار بجوابٍ غير جواب المتكلم" [3]، والسياق

---

(١) أسلوبية الحجاج التداولي، ص ١٣٨.

(٢) البلاغ ، الحلقة (٤)، المقالات المجهولة، ج٢، ص ٦٧.

(٣) البلاغة والحجاج من خلال نظرية المساءلة لميشال ميار ، محمد على القارصي، ضمن كتاب " أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم" ، إشراف: حمَّادي صمود، جامعة الآداب والفنون والعلوم الإنسانية، كلية الآداب – منّوبة، ، تونس، ص٣٩٩ ، د. ت .

الذي معنا هو من النوع الأول الذي يعمق الخلاف –غالبًا– ويسعى للفوز في الحِجَاج، لا غير.

والعقاد – رحمه الله – رجلٌ لا تتناسب شخصيته والصَّمت، والإقرار بما يزعمه خصمه، فهو مُعتَدٌّ بذاته، ومؤمنٌ بقدراته، وواثقٌ في مهارته وإمكاناته، ولذلك طال أمد هذه الحلقات بين ادعاءات واعتراض؛ حتى بلغت أربع حلقات مطوَّلة، تربو –مجتمعة – على السبعين صفحة من القطْع المتوسط ، بل إن الرافعي يدرك أن صاحبَه يتأثر بالكلِمة أيّما تأثُّر؛ وهذا ما دَفعه إلى قوله في خاتمة مقالاته: " **وأنا أعرف الكلامَ الذي يتحوّل في دَمِ العقاد إلى سُمٍّ يشتعِل في رُوحه اشتعَالا ...**" [١] .

كما أفاد من أداة الترجي" **لو**" التي تفيد التمني في قوله :" **فلو كان العقاد قد نظم الشعر على أن البِشْر في وجه اللئيم الفائز أقبح من التقطيب في وجه الكريم الخائب لكان قد جاء بالشعر**[٢]، فنَظْم الشعر عند "العقاد" على الحالة التي يرضاها "الرافعيُّ" لن تَحدث، ولهذا آثر التعبير بهذا الأسلوب المعبِّر.

وللأمر في مقالات" وحي الأربعين" وجْهٌ حِجَاجيٌّ، فهو في حقيقته " طلُب الشيء على وجه الاستعلاء"، والرافعيُ يريد أن يقف هذا الموقف؛ لتعلو حجته فيأتي بفعل الأمر الإنجازي، لا لطلب الشيء فحسب ، بل "ليُنتج خطابه بناءً على موقعه السُّلطوي" [٣]، فيقول:" **فاعلم يا بُنيّ أنَّ الحديث الشريف لم يقل أحبّ الأعمال أخلدُها، ولو أراد لاستَعملها...**"[٤]، وهذه الصيغة بنصِّها جاءت كثيرًا في مقالات الوحي الأربعة ، نصحًا وإرشادًا أو تهديدًا وتعجيزًا ، ثم النداء الذي يتبع الأمر وهو" **يا بنيّ**" ؛ ليَزعم أُبُوَّتَه ، لا

(١) البلاغ ، الحلقة (٤) المقالات المجهولة،ج٢، ص ٧٢.

(٢) البلاغ ، الحلقة (٢)، المقالات المجهولة ،ج٢، ٤٥ .

(٣) ينظر: استراتيجية الخطاب، ص ٣٤٥ .

(٤) ينظر: البلاغ ، الحلقة (٣)، المقالات المجهولة،ج٢ ، ٥٨ .

على سبيل النسب، بل على سبيل الأستاذية ، التي يتقمصها الكاتب في مناظرته ؛ فالفروق العُمريَّة التي بينهما لا تُمكِّنه- غالبًا- من ذلك"[١].

ومن غير الطلبي الذي أتى لأغراض حجاجية: "**لعل**"، فيقول: "**ولعل**" **العقَّاد" بعد هذا لا يتطاول مرة أخرى إلى الكلام في اللغة**"؛ فإن من خواص" لعل": "إفادة التوقع والترقب في أمرٍ غير موثوق في حصوله"[٢]؛ فإن معرفة الرافعي بحال المخاطب وتوقع أجوبته، موافقة أو رفضًا، أَهَّلته لهذا الأسلوب، كما تُحدده ظروف السياق والمقام؛ بناءً على مثيلاتها من مواقف أخرى سالفة.

(ثامنًا) البديع: لا يخفى أن للبديع دورًا حجاجيًّا في بناء القناعات والتأثير على المخاطب؛ من خلال زخارفه اللغوية ووقْعه الموسيقي النغمي الذي يطرب المسامع، ويؤثِّر في الوجدان ، فهو لا يقف عند حدوده الظاهرية؛ بل ما يحتوي عليه من مستويات حجاجية؛ "فأساليب البيان مثل المقابلة والجناس والطباق، وغيرها ليست اصطناعًا للتحسين والبديع { فحسب} وإنما هي أصلًا أساليب للإبلاغ والتبليغ"[٣]، ولم يحفل "الرافعي" بالبديع كثيرًا إلا ما جاء على سجيته من غير تكلُّف، غالبًا، غير أنه لا يُعدم وجوده وأثره وجمالياته في حِجَاج "وحي الأربعين"، ومنها:

١- **الاعتراض:** كان للاعتراض أثرٌ ظاهر في بناء الخطاب، فيضبط إيقاع السياق، ويرفع توهم خلاف المراد، وتعظيم المخبر عنه، والمقسم به، وهو يجري كما يقول "ابن الأثير" مجري التوكيد[٤]، لكن في معرض الحجاج يكون له بالغ الأثر، ولهذا نجد الرافعي يفيد منه، فيقول: " **وما**

---

(١) الرافعي مواليد ١٨٨٠م، والعقاد : ١٨٨٩م.

(٢) ينظر: الأساليب الإنشائية، الأستاذ. عبد السلام هارون، ص٥١، مكتبة الخانجي، القاهرة ، ط.٥، ٢٠٠١م .

(٣) مراتب الحجاج وقياس التمثيل ، د. طه عبد الرحمن، مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية ، جامعة سيدي محمد، فاس، عدد، ٩، ١٩٨٧م ، ص ١٥٥.

(٤) ينظر: المثل السائر ، ج٢، ص١٧١، ١٧٢ .

ندري –والله– كيف يَفهم هذا الرجل"(١)، يأتي بالقسم؛ ليفيد من تقوية الكلام وتحسينه من خلال سُلْطته وقُدسيَّته ودورانه على الألسنة، واستعماله في التأكيد وثبوت الحُجّة، وكذا دلالاته التي تلعب دورًا حجاجيًّا، ومنه قوله– يدعو على خصمه بالويل والهلاك في معرض الذم والهجاء– " **فإن كان الموت صادقًا – ويْحك– فماذا يكون إلا حقًّا**" (٢)، وقوله:" **ولأفسِّر لك– يا بُني– قدر فهمك...**"(٣)؛ ليدلل على الازدراء والتقليل من شأن الطرف الآخر، إلى غيرها من الجُمَل الاعتراضية التي تأتي لأغراضٍ حِجَاجيَّة، يقتضيها السياق والمقام.

٢– **لزوم مالا يلزم** : وسُمي بذلك؛ لأن مؤلفه يلتزم ما لا يلزمه ؛ " فإن اللازم في هذا الموضع –وما جرى مجراه– إنما هو السّجع الذي هو تساوِي أجزاء الفواصل من الكلام المنثور في قوافيها، وهذا فيه زيادة على ذلك" (٤)، من التزام تكرار ما قبل الفاصلة، عفوًا أو عمدًا ، ومنه عند الرافعي: "... **ثم قابل هذا الذوق المصفَّى بذوقِ مَن يجعل في حبيبته من كل شيءٍ ، ومن كل موجودٍ وموعودٍ تؤاما وزؤاما وبلاء عامًّا**" (٥)، يختم "الرافعي" مقاله بتلك المتوالية الإيقاعية التي لا تزال تتردد في أذن المتلقي؛ فتضفي على حجاجه رونقًا وجمالًا، لا على سبيل زخرفة

(١) البلاغ ، الحلقة (٤)، المقالات المجهولة،ج٢، ص ٦٧.

(٢) يقول العقاد : (الطويل)

أرى في جَلَالِ الموتِ إنْ كان صَادقًا ... جَلالةَ حقّ لا جلالةَ باطل .

ينظر: ديوان "وحي الأربعين" للعقاد، ص ١٢، البلاغ ، الحلقة (١) المقالات المجهولة، ج٢، ص ٢٣.

(٣) البلاغ ، الحلقة (٣) ، المقالات المجهولة،ج٢، ص ٦٠.

(٤) المثل السائر ، ج١ ، ص٢٦١.

(٥) البلاغ ، الحلقة (١)، المقالات المجهولة،ج٢، ص ٣٤.

الخطاب –فحسب– ولكن خدمة للهدف الأسمى الذي يقصده ، وهو الإقناع والبرهان، بما يجري على الألسنة ، ويناسِب المقام .

٣– الطباق: يعمد الكاتب إلى الجمع بين الضدين في الكلام[١] ؛ لتحقيق أهدافٍ جماليَّة تؤثر في المتلقي، ومنه في المقالات التي معنا، فقد أخذ الرافعي على العقاد اضطرابه في صوره وأسلوبه، فيقول:"... **وكان هذا الاضطراب فيه هو عمل التفكيك والتكسير في أخذه استلابا واغتصابا، أو أثر انحداره من فِكْرٍ عالٍ إلى فكرٍ نازل، ومن طبيعةٍ واسعةٍ إلى طبيعةٍ ضيّقة، ومن سبْكٍ جيّد إلى سبْكٍ رديء** "[٢]، يمنح الرافعيُّ نصَّه دقة في المعنى، وعذوبة في اللفظ، وجمالًا في الأسلوب، مفيدًا من التقابل بين الدوال الذي يعزز الفكرة، ويقويِّ الحُجَّة، ويبرز الأدلة، ويسدّ ثغرات الدّفوع والإنكار؛ فبضدها تتميَّزُ الأشياء.

٤–الغُلو: أو الإفراط في الوصف، وهو ما يمكن أن يُعد من خصائص أسلوب الرافعي في معظم معاركه النقدية، ومعناه: "امتناع الوصف المدعى عقلًا وعادة، إلى غاية لا يبلغها"[٣]، وبه يتجاوز الرافعيُ الحدَّ في وصفه؛ لأغراض حجاجية، كي يلصق بخصمه أشنع صفات السوء والقُبح ، يقول: " **وفي ديوان "العقاد" نوعٌ من الشِّعر يُعد في الأسلحة، فإذا تناوله القارئ وخاضَ فيما بعْده من الشِّعر؛ فما هو إلا الجندي قد تناول الكِمَامة التي يخمر بها أنفَه قبل خوض معركة الغازات الخانقة...وكلتا هاتين القصيدتين لو أَنشدهما العقاد؛ لسَجّلتْ كلُّ مراصد العالم حركات**

(١) ينظر: العمدة في محاسن الشعر وآدابه"، للقيرواني، تحقيق الشيخ : محمد محيي الدين عبد الحميد، ج ٢، ص٥، دار الجيل، ط.٥، ١٤٠١ هـ – ١٩٨١ م .

(٢) البلاغ ، الحلقة (٢) ، المقالات المجهولة،ج٢ ، ص ٤٠.

(٣) ينظر: البديع، ص١٦٢، الصناعتين، ص٣٥٧، علم البديع، د. عبد العزيز عتيق، ص١٠٥، دار النهضة العربية، بيروت – لبنان ، د. ت.

زلزلة "[١]، وفي هذا مبالغة في وصف الشعور السلبي الذي ينتاب المتلقي لشعر "العقاد"، وهو ما يستحيل عُرْفًا وعادة ؛ لكنه أفرط وغالَى، وهو من الأسلوب الساخر الذي يمتاز به "الرافعي" في هجاء خصومه .

وغير ذلك من الأساليب والآليات البلاغية التي تكمن في هذا الخطاب الحجاجي، التي تم الإشارة إلى بعضٍ منها على سبيل التمثيل لا الحصر والاستقصاء والتي جاء –معظمها– متناغمًا مع السياق والمقام، وهو ما يعرف بالكفاية الاتصالية[٢] (communicative competence)، والتي تعني مقدرة المرسِل على إنتاج خطابٍ مناسبٍ لكلِّ موقفِ اتصال ، أي الاستخدام المناسب للتعبير المناسب، في الموقف المناسب ، وهو ما أدركه "الرافعي" فأفاد من هذه الآليات؛ فكانت سبيلًا إلى قوة خطابه في هيْكله وشكْله ومضمونه، وغيرها من الآثار، ثم يأتي دور "التداولية" التي تعمل على إبرازها وكيفيّة اشتغالها.

(١) البلاغ ، الحلقة (٢)، المقالات المجهولة ،ج٢، ص ٤٢.

(٢) ينظر: النص والخطاب والاتصال، د. محمد العبد، ص ٤٩ ، الأكاديمية الحديثة للكتاب الجامعي، ط. ١، القاهرة، ٢٠٠٥م، ينظر –أيضًا– الاتجاهات الحديثة في علم الأساليب وتحليل الخطاب، ص٥٠:٥١.

المطلب الثالث

من الآليات شِبْه المنطقية (السَّلالم الحجَاجيَّة)

انصبَّ اهتمام "الرافعي" في بناء خطابه- أحيانًا- على البرهنة والاستدلال، عبر آليات وطرائق تشبه الترتيب المنطقي للأسباب والنتائج، كأن يُقدِّم " المتكلم قولًا أو مجموعة من الأقوال موجهة؛ لجعل المخاطب يَقْبَل قولًا آخر، سواء أكان صريحًا أو ضمنيًّا"(١)، فغاية الحجاج: الإذعان والتصديق بما يطرحه المُرسِل من مفاهيمَ وأفكار وقناعات، وذلك عبر استدراجٍ يجعل المرسل إليه يتدرَّج في القَبول والموافقة على مقدمةٍ تلو أخرى، حتى ينتهي به إلى النتيجة التي يقصدها، وهو ما يعرف بنظرية السلالم الحجاجية ل" أزفالد ديكرو" (Oswald Ducro) التي تعني "مجموعة غير فارغة من الأقوال مزودة بعلاقة ترتيبية"(٢).

وقد أفاد الرافعي من هذه الآلية؛ في محاولة منه لردَّ ديوان العقاد وذمِّه ؛ ليمنح خطابَه التنوع والثراء، فيقول عن العقاد:" **فالرجُل فاسِدُ الحِسّ، ويحسب ذلك عُمْقًا في الإحساس يتّسِعُ به لنقائض الدنيا... وما دام إحساسه بهذا العمق، فكلُّ شيءٍ كأنه جزءٌ منه، وإذا كان كل شيء جزءًا منه، فالقُبح والفساد مِن بعض ما فيه، وما دام له هذا القُبح وهذا الفساد، فلا قُبح في غلَطه، ولا فسادَ في ذوقِه، ولا يُعاب ما هو طبيعي؛ لأنه طبيعي**"(٣).

يَبنِي الكاتب حجاجه في هذا النص- وغيره- بناءً على خلفيَّته المعرفيَّة بالمرسَل إليه، فيهدم ما يريد بناءه- إذ إن العقاد يتفاخر بالعُمْق والفلسفة والتأمل- فيُقدِّم الحُجَّةَ الأولى، ثم أخواتها تباعًا مِنْ "أحكامٍ مُسلَّمٍ بها

(١) ينظر: أهم نظريَّات الحِجَاج ، ص ٣٦٣.

(٢) ينظر: الحِجَاج في الإمتاع والمؤانسة، ص٧٢.

(٣) البلاغ ، الحلقة (٤) ، المقالات المجهولة،ج٢ ، ص ٦٨.

وأحكام يسعى الخطابُ إلى تأسيسها، وجعلها مقبولة لا تُنكَر؛ بحيث لا يمكن التسليم بأحدها دون أن يُسلِّم بالآخر؛ ولهذا تسمى بالحُجج الاتصالية، أو حججٌ قائمة على الوصل"[١] .

وهذا المقطع الثري ينطوي على آليات حجاج متنوعة ، وأبرز ما يميزها التنوع والعمق ففيها التعميم ، مثل " **كل شيء ...**"، وفيها التكرار" **الإحساس**"، و" **دام**" ، وتكرار أداة النفي " **لا** " وفيها التوازي التركيبي " **فلا قبْح في غلطه، ولا فساد في ذوقه** "، وغيرها من الحُجَج الاتصالية ، والتي ليست على وتيرة واحدة من القوة والضعف؛ بل هي كالسُّلَّم يبدأ من الأدنى/ الأضعف للأعلى/ للأقوى، حتى الوصول إلى بُغيته، في تدرُّجٍ منطقيٍّ؛ قَمِن أن يناسب السُّلم الحجاجي في صورته الحديثة، وهو ما يظهر في هذا الشكل:

" العقاد" فاسد الحِسّ " **(حُجَّة أولى)**

" كل شيء منبثق من إحساس العقاد " **(حُجَّة ثانية)**

" كل شيء يصدر من العقاد فاسد " **(نتيجة)**

ويبرز من هذا النموذج الحجاج الجدلي، الذي لا ترقَى مقدماته إلى درجة الدليل القطعي والمقدمات اليقينية، التي تعتمد على أدلة نقلية ثابتة، أو كَوْنية يتنافَى معها الشك والجدَل، حيث إن هذه المقدمات/ الادِّعاءات شخصية تَقبَل الصدق والكذب، لكنها- في كل الأحوال- ترنو لإفحام الخصم، فيقبل الاتهام ويذعن للخطاب ، ويُسلِّم بالهزيمة .

وليس سهلًا تغيير قناعات المتلقي ، إذْ يهدف من خلال المحاججة إلى تغيير وعيه ، بل إن المرسل قد يتنازل في بداية الأمر عن قناعاته – خداعًا وتمويهًا – وذلك ليأخذ بيَد المتلقي، ويضمن انتباهه وتركيزه، ثم ينطلق إلى الحُكم/ النتيجة التي يريدها، وذلك كقوله في ثنايا هذه المقالات:

---

(١) ينظر: في نظريَّة الحِجَاج.. دراسات وتطبيقات، د. عبد الله صولة ، ص٨١، ٨٢، مسكيلياني للنشر، تونس، ط.١، ٢٠١١م.

"**ونحن نعرف العقاد رجلًا ذكيًّا مطلعًا ...**"(١)، ثم بعد ذلك قال ما قاله في سياق السخرية والتعريض الذي يفهم من السياق، ويؤثر أيما تأثير في المخاطب؛ حيث إن الخطاب الحجاجي التداولي عبارةٌ عن تجاوزٍ للملفوظات المُجرَّدة إلى فضاء التأثير والفعل الإنجازي المقصود ، والتداولية في الأساس هي" دراسة اللغة بوصفها ظاهرة خطابية وتواصلية واجتماعية في الوقت نفسه"(٢).

ولذلك عندما أراد "الرافعي" أن يستطرد في سياق الازدراء والتهكم من خصمه، بدأ بمقدمتين، ليخلص إلى نتيجة بالغة القسوة، يقول: " **يريد العقاد أن يتهكم كما يصنع كبار الأدباء ... فإذا هو قد طم عليه ذوقه الفاسد ونزعته العامية الغليظة ؛ فلا يكون تهكمه إلا سبًّا محضًا وقذفًا صريحًا وعاميّة مُتسفّلة ...**"(٣)، وهذه ادّعاءات / مقدمات ظَنِّيَّة، لا يُمكن للمتلقي أن يُسلِّم بها بسهولة، ففي المقدمة الأولى يريد "العقاد" أن يتهكّم في أسلوبه كالأدباء .. يغلب عليه الذوق الفاسد؛ لتكون النتيجة التي أَعلَنها المُدَّعِي، وهي تحوُّل التهكُّم المقبول إلى السبِّ المحض والقذف الصريح، وهذا الحُكم يسميه المناطقة " القضية"، يقول "ابن حزم الأندلسي"(ت ١٠٦٣م) : " والخبر إما إيجاب وإما نفي، والموجَب إما أن يكون كذبًا، وإما أن يكون صدقًا، والمنفي أيضًا كذلك، فالخبر إذا تمَّ كما ذَكَرْنا، سُميَّ قضية، فإما صادقة أو كاذبة"(٤)، ويُحدِّد ذلك الواقع وجمهور المتلقين، والمتخصصون،

(١) البلاغ ، الحلقة (٢) ، المقالات المجهولة،ج٢ ، ص ٤١.

(٢) التداولية من أوستن إلى غوفمان ، فيليب بلانشيه، ترجمة ، صابر الحباشة ، ص ١٨، ١٩، دار الحوار للنشر والتوزيع ، سورية ، ط.١، ٢٠٠٧م .

(٣) البلاغ ، الحلقة (٤) ، المقالات المجهولة، ج٢، ص ٦٨.

(٤) التقريب لحد المنطق، ابن حزم الأندلسي، ص ٨٢، تحقيق د. إحسان عباس، دار مكتبة الحياة– بيروت، ط. ١، ١٩٥٩م .

بموضوعيَّةٍ وأمانةٍ عِلْميَّة، شريطة فهم الرسالة في سياقها؛ حيث إنها تتّخذ مسارًا حِجَاجيًا قائمًا على تعدُّد القراءات وتأويل الخطاب .

وعندما أراد "الرافعي" أن يكشف الأسباب التي دفعتْ بالثقة في نفْس غريمه؛ حتى ادّعى العبقرية، قال عنه :"... **فمِن عجز الفهْم، إلى النَّقل عن الناس، إلى سرقة الناس، إلى النتيجة المُضحكة في العقاد بخصوصه، وهي ادّعاء العبقرية ...**" [١] ، ويتضح التدرج في عرض الحُجَج ، بداية من سوء الفهم والذي – حسب رأي المنشئ – قادَه إلى النّقْل، والذي فيه المحمود والمذموم ، ثم المرحلة التالية ، وهي السرقة المذمومة ، وفي النهاية يُعلن النتيجة التي صرّح بها ، مبينًا أنها زعمٌ لا يثبت إلا في خلَد العقاد وقرارة نفْسه فقط .

ومِنْه أن يبدأ بالنتيجة ، ثم يَشْرع في تقديم ادِّعاءاته، ثم ينتهي للنتيجة والحُكم، وإثباتها واقعيًّا، من خلال التلازم المنطقيّ بين الأسباب والنتائج ، ومن ذلك قول الرافعي: " **لقد كُنَّا على ثقةٍ أن العقادَ الجبارَ سينهزم عَنَّا أقبح هزيمة، وأن ليست له إلا جولة ثم يُصرع ، فإنه يعرف في ذات نفسه أنه لا يملك معنا ما يملكه مع غيرنا، وهذا سببٌ آخر في شتْمه إيَّانا؛ لأن صيحة من تأخذه من حَلْقه لا تجيء كصيحة مَن أخذتْه من يده أو رِجْله، وما عندنا يدجل العقاد، ولا علينا يُشعوذ، ولا معنا يستطيع المُستطاع**"[٢].

يبدأ حديثه بتحقيق الثقة في نفسه والتأكيد عليها ، ثم يُعلن حُكْمه (النتيجة)، ثم يبدأ بالتفصيل والتجزئة، (المقدمات) ، مُبنيًّا أقوال خصمه ومستدعيًا اعترافه ، والإقرار سيد الأدلة، يقول:" **فإنه هو يَعرف في ذات نفْسه أنه لا يَملك مَعَنا ما يَمْلكه مع غيرِنا**"، فلم يُبْقِ للطرف الآخر – غالبًا – حجة

(١) البلاغ ، الحلقة (٣) ، المقالات المجهولة، ج٢، ص ٥٦.

(٢) السابق ، المقالات المجهولة،ج٢، ص ٦٩.

يَردُّ بها ، مفيدًا من أسلوب النفي المُكرَّر، وضمير العظمة للمتكلم ؛ كي يصل إلى هدفه المنشود ، وهو ما يُمْكن أن يُحول إلى هذا التقسيم :

"هزيمة العقاد في مناظرة الرافعي" **(نتيجة)**

"العقاد يعرف ذلك؛ ولهذا يعوض ذلك بالسَّب والشَّتم" **(حُجَّة ثانية)**

"الرافعي يَثِقُ في نفْسه؛ فهو ليس كغيره" **(حُجَّة أولى)**

يبدأ الحجاج من الأعلى للأدنى، فيصرح بالنتيجة أولًا، بصيغة مباشرة تظهر فعاليتها الحجاجية؛ ليدعم حجته ويمنحها شرعية، ويفيد من الإنصات عند الاستهلال، فيُطلق الحُكْمَ خشية الإعراض؛ كي لا يجد الطرف الآخر مجالًا للإنكار، بعد أن انقضى الأمر واستوت النتيجة على جُوديِّ الفوز والغَلَبَة للحُجج المُلقاة ، سواءً أكانت من الأعلى للأدنى، أم من الأدنى للأعلى، عبر مؤشراتٍ وروابط لُغوية ساعدتْ على تنامِي الحِجَاج .

ويُلحظ أن الرافعي قد تريَّث كثيرًا في استخدام تقنياته، فمرةً يفيد من اللغة تصريحًا وتلميحًا، وأخرى من البلاغة وما يقتضيه المقام، وعندما يجد أن الأمر يحتاج إلى القياس والبرهنة والتدرج في الاستدلال، فلا يتردد عن استخدامه؛ بيْد أن المعركة النقدية حاميةُ الوطيس ، وبيْن أعلام النقد والأدب في ذلك العصر، ولكلٍّ جمهوره وأنصاره ، فجميع الأساليب متاحة ، وكل الوسائل مباحة .

وبعد، فكان هذا غيضٌ من فيضِ الأنواع الآليات والتقنيات التي تَشكَّل بها الخِطَاب الحِجَاجي في مقالات "وحي الأربعين"، حيث كان الهدف منها نقد الديوان الذي أصدره العقَّاد، إبَّان بلوغه الأربعين من عُمْره، إلا أن "الرافعي" وقَف له بالمرصاد، ونقده نقدًا لاذعًا، عبْر أنواع الحِجَاج المختلفة ، ومن خلال أدوات وأساليب لغوية وبلاغية ومنطقية، والتي اتّكأ عليها وأفاد منها؛ تبعًا للسِّياق والمَقام ، وغيرهما من عناصر الموقف الاتصالي .

الخاتمة

و بعد، فإن هذه اللمحات النقدية ، والمقاربات الموجزة لمقالات" وَحْي الأربعين" للرافعي، يمكن أن يقال: بأن الحِجَاج –بآليَّاته وتِقْنياته– فنٌ رفيعٌ من فنون الخطاب يُلجأ إليه في المحاورات التي يغلب عليها المِرَاء والجدال؛ ولهذا أفاد منه "الرافعي" في معرض مناظرته مع "العقَّاد"، ونقده لديوان "وحي الأربعين"، وقد انتهى البحث إلى جُملةٍ من النتائج وبعضٍ من الاقتراحات .

أولًا: النتائج :

١– ترى الدراسة أن "الخطاب الحجاجي" ليس وليد العصر الحديث، بل يمتلك جذورًا تراثية ، أهمها ما جاء في "البيان والتبيين" للجاحظ؛ فالغاية هي الإفهام والإقناع اللذان يقويان الحجاج، ويؤثران في المُخاطَب ، وهو ما تدور حوله –غالبًا–النظرية الحديثة.

٢– خَدَم "الرافعيُ" و"العقادُ"– وغيرهما– الإسلامَ واللغةَ والأدبَ خدمةً جليلةً، ينبغي مراعاتها عند الحديث عن المعارك النقدية؛ كي لا ننجرف إلى التعصب والتحزُّب، فتضيع الحقيقة بين براثن الاستبداد النقديِّ المَقيت .

٣– كان للأدوات اللغوية دورٌ في الخطاب الحجاجي؛ مما جعل لها قوة وتأثيرًا في المعركة النقدية التي نشبتْ بعد أن تَمَّ صدور ديوان "وحي الأربعين" للعقاد ؛ فأخذ "الرافعي" يَنْقُد مذهبَه وفلسفتَه وأسلوبَه ولغتَه وصِوَره ، في خطابٍ حِجَاجيٍّ إقناعيٍّ بيانيٍّ من طرازٍ فريد.

٤– عملتْ "التداولية" على توجيه مقاصد خطاب "وحي الأربعين"؛ بناءً على الخلفية المعرفية للمتحاوِرَين مَعًا، ومعرفةً بِكُنْه دوالِّ اللغة، وأدواتها الإشارية الخاضعة لسلطان الاستعمال؛ فيسير الخطاب– بسببٍ من ذلك– في الاتجاه الصحيح .

٥– امتاز "الرافعي"– في حجاجه– بأسلوبٍ نقديٍّ لاذع، أقرب إلى الهجاء منه إلى النقد الموضوعي الهادف، مما جعله يستخدم بعضًا من

التعبيرات القاسية، والأوصاف التي لا ينبغي- في رأي الباحث- أن تحويها محاورة بين رائدين عظيمين من روّاد الفكر والأدب في العصر الحديث .

٦- أفاد "الرافعي" من أنواع الخطاب الحجاجي التوجيهي والتقويمي، حسب ما يقتضيه المقام ويتطلبه السياق، مفيدًا من المُعجم اللغوي الذي يحتوي على خصائص تقويمية تعليمية ، والذي أسهم مع غيره في بناء نسيج الحِجَاج .

٧- -لجأ "الرافعي" إلى الأفعال اللغوية الإنجازية، كأفعال كالاستفهام والأمر والنهي ؛ ليوجه قوله توجيهًا حجاجيًّا سُلْطويًّا؛ التي تجعله من وجهة نظره- ظاهرًا على خصمه، بلا منازع .

٨- اعتمد خطاب الرافعي-في بعض أحيانه- على الروابط الحجاجية؛ وذلك من أجل انسجام خطابه وترابطه من جهة، وتوجيه خطابه وجهةٍ قوية من جهةٍ أخرى ؛ حتى يحمل خصمه على الإذعان وقبول الحُجَج .

٩- تَسلَّح الرافعيُ بالآليات البلاغية كالصورِ البيانية، والتفريغ، والأساليب الإنشائية، ومهارة الاستدراج، والتمثيل ، والمحسنات البديعية، وغيرها؛ كي يرتقي بحُجَجِه، ويستميل خصمه عن طريق الإقناع والتأثير، والتي للبلاغة وأدواتِها فضل كبيرٌ في تكوينها.

١٠- عمد "الرافعي" في بعض أحيانه إلى الإفادة من الآليات شبه المنطقية التي تجْنح إلى التدرج في تقديم الحُجَج والأدلة، عبر آلياتٍ وطرائقَ تشبه الترتيب المنطقي للأسباب والنتائج؛ مما يجعل المرسَل إليه يتدَّرج في القَبول والموافقة، فينتهي المُرسِل إلى النتيجة التي يهدف إليها.

ثانيًا: الاقتراحات

كما أقترح على الباحثين مقاربة الخطاب النقدي في العصر الحديث، وتحليله ونقده وسبر أغواره، والإفادة من هذه المعارك النقدية التي نشأتْ بين الكُتَّاب والنقاد، لا لنتعصَّب لأحدٍ على حساب الآخر، ولكن لنُدرِك كيف أفادوا من طاقات اللغة، ومن توظيف جماليَّاتها ، وأبعادها التداولية، ومن أنواع الحجاج وآلياته؛ في محاولاتهم للذَّود عن حِيَاض حُجَجِهم وقناعاتهم، سواءً أكان بين الرافعي والعقاد، أم بين الرافعي وغيره ، أم بين النُقَّاد على وجه العموم .

ملحق

أجزاء من الحلقة الأولى لمقالات " وحي الأربعين" للرافعي [1]

ولم أر في كل ما قرأت من شعر أدبائنا ما يستوفي أوصاف الشعر الوسط كنظم صاحب وحي الأربعين "عباس محمود العقاد" فله فلسفة وفكر وطريقة وله منزع بعيد ومرمى قصي وله اطلاع على شعر الأمم وآدابها، وفيه رغبة شديدة إلى أن يكون مبدعا مجددًا، وقد ارتهن نفسه بملامسة صناعة الأدب وفرغ لها فراغ من يعيش لما يعيش به وانغمس منها انغماس السمكة في بحرها أو مستنقعها، ولكنه أعطى هذا كله ولم يعط أسباب التمكن فيه وتكلف لمظاهر القدرة العالية، ولم يهبه الله خصائص هذه القدرة وجاوز عند نفسه حدود العبقرية لزعمه القوي وهو محتبس من ورائها بطبعه الضعيف وأغرق في المحاولة ليغرق مثل ذلك في الخيبة، وجاء بالكثير ليرد عليه الكثير أيضًا، وقدم لنا شعره على أنه التجديد والعبقرية وأنه وأنه، وليعد ما شاء من الأوصاف، ولكن ماذا ينفع ملكة جمال أن يكون فيها كل شرائط الجمال وهي عوراء؟

وقبل أن نتناول شِعْر "الوحي" نريد أن ندل "العقاد" على سِرِّ سقوطه في الشعر، وأنه لن يفلح فيه، ولا يجيء به إلا فضولًا مُكرهًا أن يكون شعرا، ولعله لا يدري أن أكثر ما يحرص عليه من نظْمه يتفق أحسن منه لكثير من كبار الشعراء فينفونه ويهذبون شعرهم منه ولقد كان "البحتري" يُسقِط ثلث القصيدة، وكان "إبراهيم بن العباس" ربما أَسقط النِّصف... ذلك أن الفِكْر يأتي بمادة القصيدة ثم يصورها الطبع ويصوغها، ثم يأتي الذَّوقُ فيُهذِّبها كما يُهذِّب صانِع التِّمثالِ تمثالَه... .

---

(١) جريدة البلاغ، الحلقة (١)، ٢٢ ذو القعدة ١٣٥١هـ- ١٨مارس١٩٣٣م، المعارك الأدبية، أ. أنور الجندي ، ص٥٧١، مكتبة الأنجلو المصرية،١٩٨٣م، المقالات المجهولة، أ. وليد كساب ،ج٢ ، ص ١٩، كِتَاب "المجلة العربية"، الرياض ، (٢٤٩) ١٤٣٨هـ.

ولقد كنت أقرأ "وحي الأربعين وما يخطر لي إلا أن أكثره أبيات كان العقاد أسقطها من قصائده القديمة ثم فَتَنَهُ الحرصُ؛ فجمعها ديوانًا، ولو هو سمّى الحقيقةَ باسمها؛ لكان اسم ديوانه "الحُثالة" ، وإلا فأي شِعرٍ في مثل هذا البيت : (الطويل)

أرى في جَلَالِ الموتِ إنْ كان صَادقًا جَلالةَ حقٍّ لا جلالةَ باطلِ[1]

فإن كان الموت صادقًا – ويْحك– فماذا يكون إلا أن يكون حقًّا، وما شرط الصدق في شيء واقع لا يتكذَّب فيه أحدٌ؟! إنما يكون الشرط في قول المعري : (السريع)

ما أطيبَ الموتَ لشُرَّابِهِ إن صحَّ للأمواتِ وشْكُ التقاء[2]

ولست أدري ما هي القوة التي تضطر العقاد أن ينظم الشِّعر، ومن أي محكمة صدر عليه حُكم الأشغال الشاقة في الألفاظ... وقد جاء ديوانه في نحو سبعين ومائة صفحة، ولو هذب ما خرج في عشر صفحات.

ذلك السر الذي أومأنا إليه هو أن "العقاد" يحترف الصحافة السياسية من أول نشأته، وهو عمل السَّاعة ولغة الجمهور وأساليبها في نقل الأخبار بعضها من بعض معروفة، وأساس كلِّ بيانٍ فيها قيام المعنى لمحض الدلالة التي يحملها لا للسموّ بها، وفي أساليب صناعة الحكاية لا في أساليب صناعة البلاغة، وعلى سياسة الواقع لا على سياسة الارتفاع بالواقع، وما زعَم أحدٌ أنَّ الصحافة السياسية أُنشئت للشعر ولغته وبيانه وفلسفته.

فهي في خاصّ معناها وافيةٌ بما وُجِدَتْ له، وهي الحق كل الحق في غايتها وسبيلها إلى هذه الغاية، ولكن شر ما في الباطن وأبعد ما في المستحيل إذا أريدت على أن ينبع باحترامها الشاعر العبقريُّ مُبدِعُ اللغة في

(١) سبق توثيقه.

(٢) اللزوميات، أبو العلاء المعري ،ج ١، ٥٩، مكتبة الخانجي، القاهرة ، ١٩٢٤م .

مادة فَنِّها البياني، وحكيم النفس القائم على سياستها الداخلية والخارجية، ومَلِكُ الطبيعة الذي قيل له من الأزل إن قوة الملوك السلاح للفتك والموت ، وقُوتُكَ أنتَ الكلمة الجميلة للتأثير والحياة .

إنَّ ما نراه في شعر "العقاد" من أثر كل ذلك، معان ملخصة وقصائد هي مقالات فسدتْ؛ فصارت نظما وصناعة من القلم للماكينة رأسًا، وطبعً لا يُنْكَر، أو أن يكون المعنى تحصيل الحاصل، أو يكون من المعاني التي لم يبقَ في الأرض حضريٌّ ولا همجيٌّ إلا عرفها .

ولعل تلك العلَّة التي بينَّاها تَرى أكثرَ شِعْرَ العقاد– أو كل شعره– يعتريه ما يعتري المقالات الصحفية من النَّقضِ والردِّ، فأنت تستطيع أن تفسده كله بأيسر الكلام؛ لأنه موضوع على قاعدة تقبل ذلك، وتقرأه فلا تهتزّ لشيءٍ منه كأنه رأيٌ أُلقي من الأحزاب السياسية ليردَّه أحدهما على الآخر، ويغلبك شعورٌ عجيبٌ في أكثر ما تقرأ؛ فما تشك أن وراء هذه المعاني "مِقصًّا "قصَّها من كتب ودواوين ورسائل، وأنَّ صاحب "المِقص "جالسٌ في ديوانه مجلسه في جريدته يتبادل أخبار الفكر الإنسانيّ.

وعلة أخرى هي أن في "العقاد" نقصا كبيرًا في البيان العربي، وهو ضعيف الفهم جدًا لأسرار هذا البيان، وقد قرر عن نفسه –كما قال لي مرة– أن البيان هو ما يَكتب به في الصحف، وهذا مذهب إذا صار إلى الشعر كان فيه كعمل من يستعطر بالعطر من أي أوراق النبات أصابها، ولو كُراثَّة أو بصلة، ومِن هذا جاء شعره، وإنه ليقابل في أيامنا هذه ما كان عندنا قديمًا من شِعْر الفقهاء الذي لا يراد به دقة المسلك إلى النَّفْس، ولا لطف المأخذ من اللغة، ولا إصابة الفصل من المعنى، ولا حكاية الطبيعة في صناعة فكرية جميلة، ولا بثّ إشراق النفس الرُّوحانيّة في تركيب المادّة ، وإنما هو نظْمٌ بحتٌ مستجلَبٌ مُتكلَّف، يقع منه أقبح التفاوت كما ترى في ألفاظ العقاد، ويَعدِل في سياقه عن طبيعة الشعر إلى طبيعة الجدل والسرد وحكاية الآراء والمذاهب.

وما يخيل إلي في شعر العقاد إلا أنه مستنقع اخضرّتْ ضفّتاه، فهذا الجمال القليل منه لا يكشف عن سرٍّ ورونقٍ وإمتاع، وإنما يزيد في القبح وما في هذا المستنقع إلا البعوض والملاريا والطحلب والوخم والعفن.

ولو أنك كنت دقيقَ الحسِّ، مصفي الذوق، عالي البيان، ثم قرأت شعر العقاد؛ لرأيت من شعره ما يلسع الذوق لسْع البعوض، وفي شِعره أبياتا تنهق نهيق الضفادع في الماء، ومع هذا كله لا تنفك من منظر نضر هنا وهناك من ضفاف المعاني الحسنة التي يعرضها مما ينقله عن غيره من شعراء العرب والأوروبيين..." .

ثبتٌ بأهمِّ مَصادِر البحث ومَراجعه

أولاً: المصادر

١- مقالات "وحي الأربعين" للرافعي، جريدة البلاغ المصرية ، مارس، ١٩٣٣م .

٢-المقالات المجهولة، للرافعي، أ. وليد كساب، كِتَاب "المجلة العربية"، الرياض، ج٢، كتاب (٢٤٩) عدد (٤٨٨)، رمضان ١٤٣٨هـ- يونيو ٢٠١٧م.

٣- وحي الأربعين (ديوان شِعْر) للعقاد، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، مصر، ٢٠١٣م .

ثانيًا: أبرز المراجع:

١. الاتجاهات الحديثة في علم الأساليب وتحليل الخطاب، د. على عزت ، شركة أبو الهول للنشر، القاهرة ، ط.١، ١٩٩٦م .

٢. الأدب العربي الحديث، د. محمد عبد المنعم خفاجي ، مكتبة الكليات الأزهرية، د. ت.

٣. الآراء النقدية عند الرافعي بين النظرية والتطبيق، علي بختي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ٢٠١٤م .

٤. أساتذتي"، للأستاذ نجيب محفوظ ، دار ميريت للنشر، القاهرة، ط.١، ٢٠٠٢م .

٥. الأساليب الإنشائية في النحو العربي، الأستاذ. عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، ط.٥، ٢٠٠١م .

٦. استراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية تداولية، عبد الهادي بن ظافر الشهري، دار الكتاب الجديد، بيروت، ط. ١، ٢٠٠٤م .

٧. أسرار البلاغة، الإمام. عبد القاهر الجرجاني، تحقيق الشيخ: محمود محمد شاكر، مطبعة المدني بالقاهرة، جدة ، د، ت .

٨. أسلوبية الحجاج التداولي والبلاغي ، د. مثنى كاظم صادق ، كلمة للنشر والتوزيع ، لبنان ، ط. ١، ٢٠١٥م .
٩. الانتخاب الثقافي، أجنر فوج، ترجمة: شوقي جلال، المجلس الأعلى للثقافة، ط.١، ٢٠٠٥م .
١٠. أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم"، إشراف: حمَّادي صمود، جامعة الآداب والفنون والعلوم الإنسانية، كلية الآداب – منّوبة، تونس، د. ت .
١١. الإيضاح في علوم البلاغة، للقزويني، دار إحياء العلوم، بيروت، ط.٤، ١٩٩٨م .
١٢. البرهان في وجوه البيان، أبو الحسين بن وهب الكاتب، تحقيق: د. حفني محمد شرف، مطبعة الرسالة ، مصر، د. ت .
١٣. البصائر والذخائر، تحقيق: د. وداد القاضي، دار صادر– بيروت، ط.٤، ١٩٩٩م .
١٤. بلاغة الخطاب وعلم النص، د. صلاح فضل، سلسلة عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون، الكويت، أغسطس، ١٩٩٢م .
١٥. البلاغة العربية.. أصولها وامتداداتها، د. محمد العمري، أفريقيا الشرق، المغرب، ١٩٩٩م .
١٦. بناء الجملة العربية، د. محمد حماسة عبد اللطيف، دار غريب للطباعة والنشر، القاهرة، ٢٠٠٣م .
١٧. البيان في ضوء أساليب القرآن، د. عبد الفتاح لاشين، دار المعارف، ط.١، ١٩٨٤م .
١٨. البيان والتبيين، للجاحظ، تحقيق الأستاذ. عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، ط. ٧، ١٩٩٨م .
١٩. تبسيط التداولية، بهاء الدين محمد مزيد، شمس للنشر والتوزيع، ط.١، ٢٠١٠م.

٢٠. التحاجُج.. طبيعته ومجالاته ووظائفه، تنسيق: حمو النقاري، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الرباط، ط. ١، ٢٠٠٦م .
٢١. تحرير التحبير، لابن أبي الإصبع المصري، تحقيق : د. حفني شرف ، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ، ١٩٦٣م .
٢٢. التداولية عند العلماء العرب، د. مسعود صحراوي، دار الطليعة، بيروت، ط. ١، ٢٠٠٥م .
٢٣. التداولية من أوستن إلى غوفمان ، فيليب بلانشيه، ترجمة، صابر الحباشة ، دار الحوار للنشر والتوزيع ، سورية ، ط.١، ٢٠٠٧م .
٢٤. التشكيل البصري في الشعر العربي الحديث، د. محمد الصفراني، المركز الثقافي العربي، بيروت، الدار البيضاء ط١، ٢٠٠٨م .
٢٥. التقريب لحد المنطق، ابن حزم الأندلسي، تحقيق د. إحسان عباس، دار مكتبة الحياة– بيروت، ط. ١، ١٩٥٩م .
٢٦. ثمار القلوب في المضاف والمنسوب، لأبي منصور عبد الملك بن محمد بن إسماعيل الثعالبي، دار المعارف– القاهرة ، د. ت .
٢٧. الحِجَاج في القرآن، د. عبد الله صولة ، دار الفارابي، بيروت، ط. ٢، ٢٠٠٧م.
٢٨. الحوار الأدبي حول الشِّعر، د. محمد أبو الأنوار، مكتبة الآداب، ط. ١، ٢٠٠٧م .
٢٩. حياة الرافعي، أ. محمد سعيد العريان، المكتبة التجارية الكبرى، مصر، ط.٣، ١٩٥٥م .
٣٠. الخصائص ، لابن جني ، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط. ٤، د. ت .
٣١. دلائل الإعجاز، الإمام عبد القاهر الجرجاني، تحقيق الشيخ محمود شاكر، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، د. ط ، ٢٠٠٠م .

٣٢. الصناعتين، أبو هلال العسكري، تحقيق: علي محمد البجاوي، بالاشتراك، المكتبة العصرية – بيروت، د . ت .
٣٣. عالَم السّدود والقيود، للأستاذ "العقَّاد"، المكتبة العصرية، بيروت، د. ت.
٣٤. العمدة في محاسن الشعر وآدابه ، للقيرواني، تحقيق الشيخ: محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الجيل، ط.٥، ١٩٨١ م .
٣٥. فن المقال في الأدب المصري الحديث ، د. أحمد حنطور ، مكتبة الآداب ، القاهرة ، ط.٢، ٢٠٠٨م .
٣٦. في نظرية الحجاج دراسات وتطبيقات، د. عبد الله صولة، مسكيلياني للنشر، تونس، ط.١، ٢٠١١م .
٣٧. القارئ في النص، مقالات في الجمهور والتأويل، تحرير: سوزان روبين سليمان، بالاشتراك، ترجمة: د. حسن كاظم، بالاشتراك، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت– لبنان، ط.١، ٢٠٠٧م.
٣٨. الكتاب، سيبويه، تحقيق الأستاذ: عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة ، ١٩٩٢م.
٣٩. الكناية والتعريض ، الثعالبي ، تحقيق د . عائشة حسين فريد ، دار قباء للطباعة والنشر، القاهرة ، ١٩٩٨م.
٤٠. اللسان والميزان أو التكوثر العقلي، د. طه عبد الرحمن ، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط. ١، ١٩٩٨م، .
٤١. لسانيات النص– مدخل الى انسجام الخطاب، د. محمد خطابي، المركز الثقافي العربي ، ط. ١، ١٩٩١م .
٤٢. المثَل السائر في أدب الكاتب والشاعر، لابن الأثير، تحقيق الدكتور: محمد محي الدين عبد الحميد ، المكتبة العصرية للطباعة والنشر – بيروت، ١٤٢٠ هـ .

٤٣. المصطلحات المفاتيح، دومينيك مانغونو ، ترجمة: محمد يحياتن، الدار العربية للعلوم ناشرون، الجزائر، ط.١، ٢٠٠٨م
٤٤. المعارك الأدبية، أ. أنور الجندي، مكتبة الأنجلو المصرية، ١٩٨٣م .
٤٥. المعنى في لغة الحوار، مدخل إلى البراجماتية (التداولية)، جيني توماس، ترجمة: د. نازك إبراهيم عبد الفتاح، دار الزهراء– الرياض، ط. ١، ٢٠١٠م.
٤٦. المقاربة التداولية، فرانسواز أرمينكو، ترجمة : د. سعيد علوش، مركز الإنماء القومي، د. ت.
٤٧. مقالات في اللغة والأدب، د. تمام حسان، عالَم الكتب، ط. ١، ١٤٢٧هـ– ٢٠٠٦م .
٤٨. منهاج البلغاء وسراج الأدباء، حازم القرطاجني، تحقيق : محمد الحبيب بن الخوجة ، دار الكتب الشرقية ، تونس ، ١٩٦٦م.
٤٩. نثر مصطفى صادق الرافعي ، محمد ضيف الله ، دار ومكتبة الشركة الجزائرية ، ١٩٦٨م .
٥٠. النص والخطاب والاتصال، د. محمد العبد، الأكاديمية الحديثة للكتاب الجامعي، ط. ١، القاهرة، ٢٠٠٥م
٥١. الهزلي والشعري ، جان كوهن ، ضِمْن كتاب "نظرية الأدب في القرن العشرين"، ترجمة وتقديم ، د. محمد العمري، أفريقيا الشرق، الدار البيضاء ، ١٩٩٩م .

ثالثًا: أبرز المجلات والدوريات

١. بين الرافعي والعقاد ، أ. محمود شاكر، مجلة الرسالة ، عدد ٢٥٤، تاريخ ١٦– ٥– ١٩٣٨م .
٢. التداولية .. مقدمة عامة، خلف الله بن علي، مجلة اتحاد الجامعات العربية للآداب، الجزائر، مجلد ١٤، عدد١، ٢٠١٧م .

٣. التداولية وأفعال الكلام، د. محمد عبد المطلب، مجلة فصول، مجلد ١/٢٥ عدد ٩٧، خريف ٢٠١٦م.
٤. مجلة أبولو، عدد ٧، مارس ، ١٩٣٣م .
٥. مجلة العصور، مصر، مجلد ٥، عدد٢٦، السنة الثالثة، أكتوبر، ١٩٢٩م.
٦. مراتب الحجاج وقياس التمثيل، د. طه عبد الرحمن، مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية ، جامعة سيدي محمد، فاس، عدد ٩ ، ١٩٨٧م .

محتويات البحث

الموضوع	الصفحة
المقدمة	٧٣
التمهيد أولًا: الخطاب الحِجَاجي بين التأسيس العربي والتنظير الغربي.	٧٨
ثانيًا: "التداولية" الماهية والتطور.	٨١
ثالثًا: المعارك النقدية للرافعي ومقالات "وحي الأربعين".	٨٣
المبحث الأول: أنواع الحِجَاج التداولي في مقالات "وَحْي الأربعين" .	٨٦
(أولا) الحِجَاج التجريدي	٨٧
(ثانيًا) الحجاج التوجيهي	٨٩
(ثالثًا) الحجاج التقويمي	٩٣
المبحث الثاني: آليات الخطاب الحجاجي في مقالات "وحي الأربعين".	٩٧
المطلب الأول: من الآليات اللغوية	٩٨
المطلب الثاني: من الآليات البلاغية	١١٨
المطلب الثالث: من الآليات شِبْه المنطقية	١٣٦
خاتمة البحث	١٤١
ملحق (نماذج من الحلقة الأولى لمقالات وحي الأربعين).	١٤٤
مصادر البحث ومراجعه	١٤٨
محتويات البحث	١٥٤